افعلوا

ما يأمركم به

فهرس

تنبـــــــيه ٣
المقدّمة ٤
الفصل الأول: ٧
يقول الربّ لنا: "أخلقكم خلاّقين وأحرارًا" ٧
الفصل الثاني ١٦
يقول الربّ لنا: "خلقتكم بدافع الحبّ ولأجل الحبّ" ١٦
الفصل الثالث ٢٢
يقول الربّ لنا: "وضعتُ في أعماقكم نورًا ليرشدكم" ٢٢
الفصل الرابع ٣٠
يقول الربّ لنا : " أقمتُ عهدًا معكم" ٣٠
الفصل الخامس ٣٧
يقول الربّ لنا: " جئت بينكم لأجل كلّ شيء جديدًا" ٣٧
الفصل السادس ٤٣
يقول الربّ لنا : "إنّي أضع روحي فيكم" ٤٣
الفصل السابع ٤٩
يقول الربّ لنا : أعطيكم "كنيستي" (متى ١٨/١٦) ٤٩
الفصل الثامن ٥٥
يقول الربّ لنا:"أدعوكم إلى الحبّ الأسمى، أدعوكم إلى القداسة" ٥٥
تقييم السنة ٥٩
الخاتمة ٥٩

تنبـــــــــيه

قام فريق خاص بتحرير هذا الموضوع انطلاقاً من

مخطّط وافق عليه أعضاؤه كافة، وتقاسموا كتابة

الفصول. بحيث بذل كلّ منهم جهده وأضفى على النصوص

طابع شخصيته وأسلوبه، فلا عجب أن يلاحظ القارىء

شيئاً من عدم التجانس بين الفصول، مثلاً في ما يتعلّق

بالأهمية التي أوليت للأسئلة ونأمل في أن يعطي هذا

التنوّع ثماره.

آتاني السيّدُ الربُّ لسانَ تلميذ

يبعثُ كلمةً لأعرِفَ أن أسنُدَ المُعْيي.

يُنَبِّهُ أذني صباحًا فصباحًا لأسمعَ كتلميذ.

السيّدُ الربُّ فتحَ أذني فلم أعْصِ

ولا رجَعْتُ إلى الوراء.(أشعيا ٥٠/٤-٦)

المقدّمة

سرنا طيلة عام برفقة مريم أمّ يسوع الحاضرة مع ابنها في عرس قانا، والحاضرة في حياتنا.

ثمّ نظرنا إلى ما ينقصنا في ضوء كلماتها :"**لم يبقَ عندهم خمر**" بحيث تركنا الله يغمرنا.

وفي هذه السنة، تُشركنا مريم بقولها مشيرة إلى ابنها :"**افعلوا كلّ ما يأمركم به**" . إنّها كلماتها الأخيرة التي ينقلها إلينا الإنجيل (على رغم ثبوت وجودها عند أقدام الصليب، وفي العنصرة ... الخ).

ماذا تعني لنا هذه الرسالة الأخيرة؟

– يا له من أمر مدهش، الله يكلّمنا! وتدعونا مريم إلى أن نصغي إلى ابنها الذي هو كلمة الله:

- كلمة الله هي **فعل** (عندما يقول الله، فإنّه يفعل ...)، فِعلٌ يخلقنا ويغيّرنا باستمرار.
- كلمة الله هي أيضًا **شخص** (الكلمة صار بشرًا وسكن بيننا)، شخص يرافقنا في حياتنا، شخص يخلّصنا.

تسلّمنا مريم رسالة **إيمان:**

أولاً، الإيمان بيسوع الذي لم تأتِ ساعته بعد، لكنّ مريم أطلقته ليبدأ رسالته، فأدّت بذلك دعوتها كأمّ، حتى النهاية، وجعلته يكشف علنًا حبّ الله، ذلك الحبّ الذي ما انفك يتجلّى منذ الأزل (راجع الفصل الثاني)، وفي تاريخ الجنس البشري.

– بالخلق (الفصل الأول).

– في قلب الإنسان، عن طريق ضميره (الفصل الثالث).

– بشريعة موسى التي قادت مسيرة إسرائيل – العهد القديم (الفصل الرابع).

– بالتجسّد والخلاص – العهد الجديد (الفصل الخامس).

– بعطاء الكنيسة (الفصل السابع).

وأيضًا بالوثوق بالإنسان، إذ لم يكن هناك ما هيّأ هؤلاء الخدم على ملء الأجاجين الطقسية في نهاية الوليمة، ومع ذلك أبدوا استعدادًا لتنفيذ أمر لم يفهموا معناه. أجل، إنّ الإنسان المخلوق على صورة الله (الفصل الأول)، لقادر على ان يفعل وأن يحبّ (الفصل الثاني) إذا ما أصغى إلى الله يكلّمه عن طريق ضميره (الفصل الثالث)؛ والكتاب المقدّس (الفصلان الرابع والخامس)؛ والروح القدس (الفصل السادس)؛ والكنيسة (الفصل السابع).

يجب أن يكون هذا الإصغاء إلى كلام الله طريق قداسة (الفصل الثامن) بالنسبة إلينا.

"**طوبى لمن يسمع كلام الله** (موضوع هذه السنة)، **ويعمل به**". (موضوع السنة القادمة: "**املأوا الأجاجين ماء**" لوقا ١١/٢٧).

---

* جاءت هذه العبارة في ترجمة الكتاب المقدس العربية: "افعلوا ما يأمركم به"، لكن فريق الدراسة هنا أراد أن يؤكّد أهمية وجود كلمة (**كل**) فيها.

من نبوءة أشعيا (٥٥/١٠- ١١)

"لأنّه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجع إلى هناك دون أن يروي الأرض ويجعلها تنتج وتنبت لتؤتي الزارع زرعًا والآكل طعامًا، فكذلك تكون كلمتي التي تخرج من فمي: لا ترجع إليَّ فارغة، بل تتمّ ما شئت وتنجح فيما أرسلتها له".

ونشير إلى أنّه بالانسجام التام مع هذا الموضوع، وبالاتصال مع جميع أفراد فرق العالم، يُستحسن إعطاء الإصغاء إلى كلام الله الأفضلية كنقطة جهد ملموسة للعام ١٩٩٧-١٩٩٨.

- -

الفائدة من مطالعة الكتب المقدّسة

للقديس يوحنا فم الذهب

التمرين على مطالعة الكتب الإلهية هو الميناء الهادي والسور الحصين الذي لا ينهدم، والبرج غير المتزعزع والمجد الملازم والسلاح الذي لا يُغلب والسعادة الخالية من الأكدار، والنعيم الدائم ومصدر الخيرات التي لا يقدر العقل البشري أن يتصوّرها. إنّها تطرد اليأس، وتحفظ الوداعة، وتغني الفقير أكثر من الغني، وتبعد الأغنياء عن الخطأ، وتجعل الخاطىء صديقاً، وتقود الصديق إلى المأوى الحصين، وتستأصل الشرّ وتزرع الخير حيث لا أثر له وتطرد الحقد والضغينة والحفيظة وتردّ النفس إلى الفضيلة وتثبتها وتديمها. بل هي كالطيب للنفس، ونشيد إلهي سرّي يميت الشهوات ويستأصل أشواك الخطيئة. إنّها تنقي الحقل وتزرع البذور الطاهرة وتنضج الأثمار. إنّها الطيب المنتشر، لا بكميته، بل بطبيعته. هكذا الكتب الإلهية تعطينا المنفعة العظيمة، لا بكثرة كلامها، بل بالقوة الكائنة فيها. إنّ الطيب فوّاح ذكي بطبيعته، لكن بطرحه في النار تزداد رائحته ذكاء. هكذا الكتابة الإلهية فإنّها جميلة جدًا بنفسها، ولكنّها إذا دخلت أعماق النفس تصبح كالبخورالمطروح في المبخرة يملأ البيت بشذاه الذكي.

– – – – – – – – – – – – – – – – – –

الفصل الأول:

يقول الربّ لنا: "أخلقكم خلاّقين وأحرارًا"

كلام الله خلاّق وفيه يتطابق الكلام والفعل. يتكلّم الله فتتحقق الأمور. وضعنا هذا الفصل حول الخلق في مستهلّ بحثنا، معتمدين بذلك مسيرة شعب الله التي تفتتح العهد القديم بهذا الحدث التأسيسي للإنسان، حتى لو كان ذلك لا يتطابق تمامًا مع التسلسل التاريخي لتدوين الكتاب المقدّس.

يحدث أحيانًا أن تتخلّل حياتنا أسباب تؤدي إلى تبريد همتنا، منها البطالة، وحالات الفشل المختلفة، والمرض، والإعاقة، والأحزان... مِحَنٌ قد تجعلنا نظنّ أنّه "لا يمكن عمل شيء"، سوى الرضوخ لسلبيات العالم الذي نعيش فيه.

لنفتح سفر التكوين : يقدّم لنا السفر خلق الرجل والمرأة كنقطة مآل لكلّ ما خلقه الله، إنّه قمة أعماله : " ورأى الله ذلك أنه حسنٌ جدًا".

وأخيرًا، تظهر في الكون كائنات على صورة الله ومثاله:

* هل نعي أننا ذروة عمل الله؟
* هل نحن فخورون بالمؤهلات التي منحنا إيّاها الله؟

في مستهلّ هذه السنة، نقترح عليكم أن تتأملوا في عطيّة الله الرائعة التي وهبنا إيّاها: إنّه عطاء متعدّد الأشكال، سنعمل على تحليله كي نجدّد إعجابنا وشكرنا وبهجتنا.

ولكن قبل كلّ شيء، وحتى نتفهّم على نحو أفضل ما قاله الله وما فعله، يجب أن نحترس من الوقوع في فخّين في شأن الخلق.

١- <u>ليس الخلق عملاً من أعمال الماضي</u>

في الواقع، نميل غالبًا إلى اعتبار الخلق كحدث أوّلي مكتمل ويخصّ الماضي. بيد أنّ ذلك يعني أننا تقيّدنا بحرفية نصّ سفر التكوين من دون الدخول إلى عمقه. وإذا عاد شعب إسرائيل

هكذا إلى ينابيعه ليحدّد موقعه بالنسبة إلى الله، فذلك لا ليحتفل بذكرى ولادته فحسب، بل ليختبر أيضًا عمل الله الدائم إلى جانبه عبر تاريخه. كان الله يُصعد سيلاً من الأرض ليسقي كلّ وجهها (تكوين ٢/٦)، ويجعل الماء يتدفّق من البئر امام موسى لتستقي منه غنم بنات يثروا (خروج ٢/١٥-١٧). ويخبرنا الكتاب المقدّس أنّ الله لا ينفك يجرفنا في تيار الحياة الخلاّق، ويخلقنا في حبّ يفيض في الأزمنة كلّها. إنّ خلق الله للعالم هو فعل مستمر، **ففي هذا اليوم بالذات الذي نحن فيه، لا يزال الله يخلق السماء والأرض.** إنّنا نخرج باستمرار من يد الله **الخلاّقة** : "إذا كنتَ من صنع الله، فانتظر صابرًا يد صانعك الذي يفعل كلّ شيء في الوقت المناسب" (القديس ايريناوس الليوني – St. Irénée de Lyon).

٢- لسنا أشياء تمّ صنعها نهائيًا

كثيرًا ما نتصوّر عملية الخلق كعملية تصنيع الأشياء المطاوعة، كعمل خارج عن الشيء المصنوع، ما يجعلنا نتصور صورة الخزّاف التي وردت في الكتاب المقدّس وهو يصنع إناءه الخزفي، إذا ما تقيّدنا بحرفية تلك الصورة. بيد أنّنا لسنا قطعة خزفية تأخذ شكلها النهائي. بمجرّد تجفيفها، ولسنا لعبة تخضع لصانعها : بل خلقنا الله أحرارًا في قبول أو رفض الخلاص الذي يقدّمه باستمرار. وفضلاً عن ذلك، يعرض الله لنا أن نشترك معه في خلق ذواتنا وفي خلق عالمنا. كتب الأب فاريون : "ليس جديرًا بالحبّ أن يصنع الأشياء كاملة، ولا بدّ أن يشترك ما يخلقه الحبّ في خلق ذاته بذاته. إنّي أحترس من كلمة **عمل** ولا أستطيع النطق بها من دون أن أفكّر في كلمة **صنع** أو **أنتج** " (من كتاب : تواضع الله – ١٩٧٤ ; L'humilité de Dieu Centurion). إنّ الله مع كونه حاضرًا حضورًا حميمًا في الناس الذي يخلقهم (خلافاً للخزّاف الذي يبقى خارج قطعة الخزف)، فإنّه يتركهم أحرارًا في تصرّفهم، ما هو محيّر وغريب فعلاً (انظر في مكان لاحق).

ويقول الله لنا إنّنا، بسبب فعل الخلق المستمرّ هذا، غدونا "على صورته ومثاله" (تكوين ١/٢٦).

آ – **خلاّقون** يعطيهم الله سلطة على العالم وعلى الحياة

- **الله هو الخالق الذي يخضع له كلّ شيء**. يطلب منّا الله أن نكون خلاّقين بدورنا ... يقول لنا : " **تسلّطوا** على سمك البحر وطير السماء وجميع الحيوان الداب على الأرض" (تكوين ١/ ٢٨)، إنّه يعهد إلينا بالعالم كثروة ثمينة يعتبرنا مسؤولين عنها، وكعمل علينا إتمامه بجهودنا.
- **الله هو الذي ينفخ الحياة** (تكوين ٢/٧)، يقول لنا : " **انموا واكثروا** واملأوا الأرض" (تكوين ١/٢٨) : ذكرًا وأنثى خلقنا الله على صورته، فنحن ورثة تلك المقدرة المخصبة.

ب – نحن كائنات **حرّة** لها سلطة هائلة على نفسها:

- **يتمتّع الله بحرية كاملة ويقول لنا** : أمنحكم القدرة على المساهمة في خلقكم الذاتي وعلى إكمال كيانكم.

لاحظنا سابقًا أنّنا لسنا أشياء مصنوعة ومكتملة، وأنّ الله يقترح علينا أن نبني أنفسنا.

* أنشعر بأننا أحرار حقاً لبناء أنفسنا ولبناء عالمنا؟

نعلم تمامًا أننا رهن قوانين الطبيعة (قوانين فيزيائية كقانون الجاذبية، قوانين بيولوجية ...)، لم نختر عائلتنا، أو جسمنا، أو فترة ولادتنا أو قامتنا، كما وأنّ آباءنا وأمّهاتنا لم يستشيرونا قبل إنجابنا ... ونستشعر أنّ حريتنا ليست كاملة وأنّها مُحاطة بالحتميات.

- قد يفهم بعضهم من عبارة " مخطّط الله" أنّ كلّ شيء مقدَّر سلفاً من قِبَل الله:

* كمؤلفي المسرحيات الإغريقية التي يستطيع أبطالها (أوديب œdipe، سيزيف Sisyphe) أن يتمرّدوا على القدَر، إنّما لا يستطيعون تغيير مجرى حياتهم الذي حدّدته الآلهة مسبقاً.

* أو مثل " لوثر وكالفان – Luther; Calvin " اللذين يؤكّدان أنّ القدرة الربّانية تحتّم على الإنسان أن يفعل ما يفعله، ويريدان بذلك أن يركّزا على حضور الله الحميم في مخلوقاته، وعلى ضرورة **النعمة الإلهية** المطلقة لتنفيذ وصاياه. وقد قال يسوع :"بدوني لا تستطيعون أن تعملوا أيّ شيء" (أي : أيّ شيء صحيح)، ويعترف بهذا المفهوم كلّ من الكاثوليك والأرثوذكس.

يؤكّد التقليد الكاثوليكي المقدّس أنّ **الإنسان حرّ في أن يطيع وصايا الله أو يعصاها**. وإلاّ، ما من سبب يجعل إله الكتاب المقدّس يعطي مخلوقاته أوامر صريحة. إنّ وجود وصايا الله في التوراة إنّما هو البرهان القاطع على تمتعنا بالحرية.

● أمّا اليوم، وباسم العلوم الإنسانية، ينكر بعضهم وجود الحرية. إنّ هذه العلوم تركّز على تأثير ظروف عديدة على سلوكنا (عوامل هرمونية، وسط اجتماعي، وسط عائلي ... الخ)، واستنتج بعضهم أننا نعجز عن التصرّف بحريّة بسبب العوامل التي تقيّدنا أو تحدّنا.

نستطيع أن نجيب : إنّ العديدين قبلنا اختبروا، على مدى التاريخ، قدرتهم الهائلة على بناء أنفسهم وعلى مقاومة الظروف المحيطة بهم. ويكفينا أن نشير إلى الألعاب الأولمبية المخصصة للمعاقين، وإلى اجتياز المتسلّق غيّومه (Guillaumet) لسلسلة جبال الآندس عبر الثلوج، وإلى كفاح "مارتان غريه – Martin Gray" ضدّ (قدره) ... الخ. يرغب الإنسان في أن "يتجاوز نفسه" ... وهذا القول ليس حكرًا على المسيحيين! فجميعنا مدعوون إلى القبض على زمام مصيرنا بأيدينا : هذه هي عظمة الإنسان ومستقبله ومسؤوليته الشخصية والجماعية أيضًا.

وسنرى لاحقاً أنّ الله الذي هو الأكثر علمًا بالكائنات التي لا ينفك يخلقها، يقدّم لها دروبًا ليساعدها على إنجاح حياتها، شريطة أن تقبل الإصغاء إلى كلامه.

أفلا نستطيع هذا العام أن نجدّد فخرنا وبهجتنا لأنّنا خلائق الله وأنّنا مدعوون إلى بناء العالم وبناء أنفسنا من أجل سعادتنا كزوجين، ومن أجل سعادة الآخرين؟

لأجل الصلاة

وقال الله: " لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلّط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الأرض وكلّ الدبابات الدابّة على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلّطوا على أسماك البحر وطيور السماء وكلّ حيوان يدبّ على الأرض" (تكوين ١/٢٦-٢٨).

لأجل الحوار بين الزوجين

*** <u>التعاون في الإصغاء إلى كلام الله:</u>**

– ماذا نستنتج اليوم، كزوجين، من العبارة الآتية: " على صورته ذكرًا وأنثى خلقهم" ؟ ماذا يكشف لنا ذلك عن الله، عن الرجل، وعن المرأة؟

– كيف نفهم قول الله : "انموا"؟

– كيف نفهم عبارة "تسلطوا على الأرض"؟ أيّ نوع هو هذا التسلّط؟

*** <u>دروب لأجل واجب المجالسة:</u>**

– هل ينظر كلّ منّا إلى الآخر على أنّه صورة الله؟

– ماذا أعرف عن مقدرة قريبي الخلاّقة؟

– ما هي الطاقة الخلاّقة التي تغاضيت عنها منذ زواجي؟

– في أيّ مجال تضغط حياتنا الزوجية (العائلية) على حريتي؟ أو كيف تتيح لي ممارسة حرية أكبر؟ أو كيف تحفّز طاقتي الخلاّقة؟

– هل تقدّم التزاماتنا قدرة إبداع جديدة لأسرتنا، لكلّ منّا؟

*** <u>دروب لأجل قاعدة الحياة (المقصد):</u>**

– تلاوة قانون الإيمان مع لفظ العبارة الآتية بتأنٍ : " أومن بالله الآب الكلّي القدرة، خالق السماء والأرض.

– النظر إلى الأشخاص الذين يصعب لي التعاون معهم، على أنّهم على صورة الله.

– السعي إلى إنماء الطاقات الخلاّقة لدى القرين، أو أحد أولادي، أو صديق لي مهدّد بالفشل.

– بذل جهد للتخلّص من عائق يحول دون نموّي (تدخين، جمود سلبي قبالة التلفاز، أعمال يمكن أن يعهد بها إلى الآخرين...).

– تقبّل حالة النموّ المتدرّج بطيبة خاطر وبثقة (تأهيل أحد الأولاد، كفاءات جديدة مطلوب اكتسابها...).

* ترنيمة المزمور ١٠٢

اللازمة : باركي الربّ يا نفسي، ولا تنسي كلّ حسناته (٢)
باركي الربّ يا نفسي (٣) باركي باركي

– الذي يغفر كلّ آثامك الذي يشفي جميع أمراضك
ومن الحفرة يفدي حياتك وبالرحمة دومًا يكلّلك

– الذي يشبع بالخير عمرَك ويجدّد كالنسر شبابك
الذي يملأ احتياجاتك باركي باركي يا نفسي.

لأجل الحوار في الفرقة

أسئلة اختيارية لأجل تبادل الأفكار حول الموضوع

– في أيّ ظروف عرضية من حياتنا الشخصية أو الزوجية اختبرنا حريتنا؟
– ما هي العوائق التي تواجهها حريتنا؟ هل نستطيع إزالتها أو السيطرة عليها؟
– باعتبارنا أحرارًا وخلاّقين، هل نشعر بمسؤولياتنا تجاه قريننا، وبيئتنا، والمجتمع؟
– هل حدث أن تفادينا المسؤولية عن طريق ممارستنا سياسة النعامة، إذ رفضنا المجانية قائلين مثلاً : "لا أريد أن أرى "أو" أتصرّف كأنّي من دون علم؟
– في أيّ ظروف يمكننا أن نبدو مسؤولين عن الخليقة أمام أولادنا؟ (إعطاء أمثلة واضحة).

ويمكن تقديم اقتراح، لمن يرغب من أعضاء الفرقة، أن يعرضوا على الآخرين جانبًا من مهارتهم يجهله الآخرون، مثلاً : رسم، تطريز، موسيقى، هواية ما ... فما رأيكم في إحياء فترة مسائية تتمّ فيها المشاركة، وتعرض كلّ أسرة من الفرقة أنموذجًا من مهارتها؟

نصوص

حرية ونموّ وكمال

(القديس ايريناوس الليوني – St. Irénée de Lyon)

منذ القرن الثاني، طرح القديس ايريناوس، وهو أسقف مدينة ليون وشهيدها، السؤال التالي : " تُرى! ألم يكن في استطاعة الله أن يخلق الإنسان كاملاً منذ البداية؟ ". دعونا نصغي إلى إجابته:

قد يعترض أحد سائلاً : تُرى! ألم يكن في استطاعة الله أن يخلق الإنسان كاملاً منذ البداية؟." اعلموا إذاً أنّ كلّ شيء مستطاع لدى الله" (متى ١٩/٢٦). إلاّ أنّ الكائنات المخلوقة، باعتبارها أتت حديثاً إلى الوجود، هي كالأطفال الصغار (...)، لم يعتادوا بعد السلوك على الوجه الأكمل ولم يتمرّسوا به. فمثلما تستطيع الأمّ أن تعطي وليدها الغذاء التامّ وهو لا يزال عاجزاً عن تناول طعام يتجاوز عمره، كذلك كان في وسع الله أن يعطي الإنسان الكمال منذ البداية، إلاّ أنّ الإنسان كان عاجزاً عن قبوله لأنّه لم يكن أنذاك سوى طفل صغير (...).

لذلك جعل كلمة الله – الذي هو كامل – من نفسه طفلاً صغيرًا مع الإنسان، لا لأجل نفسه، بل بسبب حالة الطفولة التي كان الإنسان فيها، كي يدركه الإنسان حسب مقدرته على الإدراك. إذاً، ليس عاجزًا أو ضعيفاً، وإنّما الضعف والعجز هما في الإنسان المخلوق الذي أتى حديثاً إلى الوجود.

(عمد ايريناوس في سياق استنتاجه إلى المواجهة بين الله غير المخلوق – لم يخلقه أحد، بل هو الخالق – والإنسان الذي خلقه الله، أي الذي يأتيه كلّ شيء من الله. لكن بالنسبة إلى ايريناوس، إنّ كون الإنسان خليقة لا يعني أنّه محروم من الحرية، بل على العكس).

(...) ذلك إذاً هو النظام والتواتر، تلك هي المسيرة التي يتحوّل فيها الإنسان المخلوق المجبول إلى إنسان على صورة الله غير المخلوق وعلى مثاله: الآب يقرّر ويأمر (تكوين ١/٢٦)؛ الابن ينفّذ ويعمل (تكوين ٢/٧)؛ الروح يغذي وينمّي (تكوين ١/٢٨)؛ ويتقدّم الإنسان شيئاً فشيئاً ويرتقي نحو الكمال، أي إنّه يقترب من اللامخلوق، ذلك أنّ غير المخلوق فقط هو كامل وغير المخلوق إنّما هو الله. أمّا الإنسان، فكان يجب أولاً أن يأتي إلى الوجود، وفي وجوده أن ينمو، وبنموّه يصبح راشدًا، وببلوغه أن يتكاثر، وبتكاثره يكتسب قوة، ثمّ أن يتمجّد، وبمجده ان يعاين ربّه، لأنّ الله هو الذي يجب ان تتمّ مشاهدته ذات يوم (...).

لأنّ مجد الله هو الإنسان الحيّ، ومجد الإنسان هو رؤية الله.

وثيقة تقنية

كلمة "حرية" ومعانيها المختلفة

بغية التوصّل إلى مناقشة حول الحرية، تستحسن مراعاة التمييز الآتي:

– **الحرية الطبيعية** (نقيضها = الإكراه): هي كون الإنسان غير خاضع للإكراه (مثلاً: ليست للسجين حريّة عمل ما يشاء).

– **الحرية النفسية** (نقيضها = التبعيّة) : هي إمكانية الاختيار شخصيًا بين فعلين مختلفين من دون التأثر كليّاً بعوامل نفسية أو اجتماعية (مثلاً : ربّما كان المصاب باكتئاب لم يشفَ منه ما زال عاجزًا نفسيًا عن بذل الجهد لحلّ مشكلة ضارّة به).

– **الحرية المدنية** (نقيضها = انعدام الحقوق المدنية) : هي التمتّع بحقّ الانتخاب والترشيح ... (مثلاً: سكان الدكتاتورية محرومون من هذه الحقوق).

– **الحرية الإباحية أو الفوضوية** : (نقيضها = الالتزام الأخلاقي) : هي مطلب من يدّعي انّه غير خاضع لأيّ التزام أخلاقي، غير أنّ هذا الالتزام الأخلاقي لا يزيل الحرية النفسية، والواقع أنّ الإنسان عندما يشعر بانّه "مجبر" يشعر في الوقت نفسه بأنّه يتمتع بحريّة أكبر (بمعنى الكلمة النفسي)، ويعود إليه الأمر في ان يتقيّد بما يمليه عليه ضميره أو لا يمليه.

– – – – – – – – – – – – – – – – –

الفصل الثاني

يقول الربّ لنا: "خلقتكم بدافع الحبّ ولأجل الحبّ"

خلقنا الله على صورته، كشف لنا أنّه خلقنا كي نحبّ لأنّه هو محبّة.
فكيف نحبّ على مثال الله؟

١- وُجدنا كي نحبّ لأنّنا خُلقنا بدافع الحبّ

بدافع من الحبّ المجّاني خُلقنا. فالآب الذي ينعم بابن حبيب موضوع رضاه، لم يكن في حاجة إلى خلق الملائكة والبشر ليشعر بفرحة الحبّ وبفرحة وجود من يحبّه. خلقنا الله إذاً، بفعل محبّة في غاية التجرّد، وقد أحبّنا قبل أن يخلق العالم (يوحنا ١٧/٢٤).

أنشدت مريم هذا الحبّ الأزلي الذي يكنّه الله لنا في نشيدها " تعظّم إلهي نفسي"، حيث قالت :" رحمته للذين يتقونه من جيل إلى جيل". (يجب الإبقاء على معنى هذه الكلمة الكتابية، فهي تدلّ على موقف من الاحترام والحبّ في آن واحد، أي الموقف الذي تدفعنا إليه إحدى مواهب الروح القدس السبع: مخافة الله).

كشف لنا يسوع بكلامه وحياته وموته أبعاد حبّ الله لنا عرضاً وطولاً وعلوًا وعمقاً (أفسس ٣/١٨)، وسنرى ذلك في الفصلين الخامس والسادس. ولكن، ومنذ العهد القديم، نجد كثيرًا من العبارات التي تذكّرنا "بهويّة" الربّ: إنّه رحيم ورؤوف، طويل الأناة كثير المراحم والوفاء (خروج ٣٤/٦-٧).

بدافع من الحبّ خُلقنا إذاً، فوجودنا هو لأجل أن نُحَبّ. ألم نُخلَق على صورة الله ومثاله؟ فلا نعجبنّ إذاً، إذا سمعنا يسوع يردّد أنّ الوصية الأولى هي تلك الوصيّة التي تعلّمَها في صباه حين كان يتلو صلاته صباح كلّ يوم : "اسمع يا إسرائيل إنّ الربّ إلهنا ربّ واحد، فأحبِبْ الربّ إلهك بكلّ قلبك وكلّ نفسك وكل قدرتك" (تثنية الاشتراع ٦/٤-٥).

إلاّ أنّنا وُجدنا أيضًا لنحبّ الذين يحيطون بنا. وهذه الوصيّة وردت في سفر الأحبار (١٨/١٩) :" قريبك أحببه كنفسك". وقد رفعها يسوع إلى منزلة وصيّة ثانية "مماثلة للأولى" (متى ٣٩/٢٢).

تذكّرنا هذه الوصية، في الوقت المناسب، أنّ هناك "حبّ الذات" وهو حبّ مشروع تمامًا ... بعيد عن الأنانية، إذ يجب أن نحبّ أنفسنا وألاّ ننقص من قيمتنا. كي نحبّ الآخرين ونعجب بهم ونتحملّهم، كما يقولون : " أن نكون في تمام جلدنا"!

وقد رأى المسيحيون منذ القديم أنّه ثمّة ترتيب في المحبّة بحيث يتحتّم على كلّ منّا:

* أن يحبّ الله.
* أن يحبّ نفسه.
* أن يحبّ الآخرين.

٢- يجب أن يتجسّد حبّنا وأن يترجم إلى أعمال

يقول القديس يوحنا في رسالته الأولى (١٨/٣): "لاتكن محبّتنا بالكلام أو باللّسان، بل بالعمل والحق". كما أنّ رسالة القديس يعقوب تركّز كلّها على أهميّة الأعمال في الحياة المسيحية. وورد أيضًا في إنجيل متى (٢١/٧): "ليس من يقول: يا ربّ، يا ربّ! يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة أبي". أجل، لا بدّ من **العمل**.

بعبارة أخرى، لا تكفي النيّات الطيّبة، على حدّ قول المثل: "جهنّم مفروشة بالنيّات الحسنة"، بل يجب التوجّه إلى تنفيذها، يجب العمل، وبدون ذلك يبقى الإنسان كائنًا ضعيف الإرادة يمتلىء أحلامًا ومشاريع، لكنّه لا يفعل شيئاً.

حلم الشاب الثريّ الذي ورد ذكره في إنجيل متى (١٥/١٩-٣٠)، بأن يكون كاملاً وأسرّ بمشروعه إلى يسوع، لكنّه تراجع أمام التضحية التي عرضت عليه: أن يبيع كلّ ما يملكه ويتصدّق بثمنه على الفقراء ويتبع المعلّم. فمضى حزينًا.

وعلى العكس، قرّر زكّا أن يعطي الفقراء نصف ثروته بعد أن يردّ إلى الذين ظلمهم ما أخذه منهم زيادة عمّا هو مطلوب منه في عمله كجابٍ (لوقا ١/١٩-١٠).

يشير الكتاب المقدّس في الكثير من الأحيان إلى القلب والنيّة والتعليل ودورهم الرئيسي في الأعمال التي تقوم بها، حتى ذهب القديس بولس إلى حدّ القول بانّه من الممكن أن يفرّق الإنسان جميع أمواله على الجياع وأن يفتقر إلى المحبّة! (١ قورنتس ٣/١٣).

ليست المسألة سهلة، إنذها تتطلّب التفكير على الصعيد الزوجي وعلى صعيد الفرقة:

- يجب ألاّ نكتفي بالكلمات، ونحن مدعوون إلى أن نحبّ الله ونحبّ أنفسنا ونحبّ قريبنا بواسطة تتميم الأعمال.
- ومن جهة لأخرى، علينا أن نسهر على **صفاء النيّة**، وعلى طهارة القلب الذي به نؤدّي أعمالنا: هل نؤدّيها " ليشاهدنا الناس"، أو لإرضاء الله والآخرين حقاً؟

يذكّرنا الإنجيل الذي يُتلى في أول الصوم الأربعيني من كلّ عام بأيّ روح وبأيّة نيّة علينا أن نبذل الجهود (صلوات، صوم، تقاسم) لإرضاء الآب الذي "يرى في الخفية ويجازينا" (متى ٦/١-١٨).

٣- حبّنا الزوجي هو صورة حبّ الله

حتى يعلن الله حبّه لنا، يُظهر لنا ذاته في الكتاب المقدّس في صور ثلاث:

- تارة، كأمّ ممتلئة حنانًا نحو أولادها.
- وتارة، كأب مهتمّ بأولاده.
- وتارة، كزوج ممتلىء إعجابًا بزوجته وصبرًا نحوها.

هذا هو موضوع نشيد الأناشيد وهذا أيضًا ما اكتشفه النبي هوشع، إذ لاحظ أنّه لا يستطيع الكفّ عن محبّة زوجته غير الوفيّة، فأدرك أنّ الله أيضًا لا يستطيع الإمساك عن محبّة شعبه رغم خياناته الكثيرة.

عندما يقترن الزوجان المسيحيّان، يتعهّدان بأن يكونا في هذا العالم شاهدين للحبّ غير المشروط الذي يكنّه الله لشعبه، إلاّ أنّ الله ينعم على كلّ منهما بنعمة **الأمانة المتبادلة** : هذه هي نعمة سرّ زواجهما.

المحبّة تأتي من الله وتترسّخ في الإيمان

أيّها الأحبّاء، فليحبّ بعضُنا بعضًا لأنّ المحبّة من الله وكلّ محبّ مولود لله وعالم بالله.

من لا يحبّ لم يعرف الله لأنّ الله محبّة.

ظهرت محبّة الله لنا بأن أرسل ابنه الواحد إلى العالم لنحيا به.

تلك هي المحبّة: نحن لم نحبّ الله، بل هو الذي أحبّنا وأرسل ابنه كفّارة لخطايانا.

أيّها الأحبّاء، إذا كان الله قد أحبّنا هذا الحبّ، فعلينا نحن أن يحبّ بعضُنا بعضًا.

إنّ الله ما نظر إليه أحد.

فإذا أحبّ بعضُنا بعضًا، أقام الله فيه وتمّت محبته فينا.

ونعرف أنّا نقيم فيه وأنّه يقيم فينا بأنه وهب لنا من روحه.

ونحن عاينّا ونشهد أنّ الآب أرسل ابنه مخلّصًا للعالمين.

من اعترف بأنّ يسوع هو ابن الله، أقام الله فيه وأقام هو في الله. ونحن عرفنا محبّة الله لنا وآمنّا بها.

الله محبّة، من أقام في المحبّة أقام في الله وأقام الله فيه. واكتمال المحبّة فينا أن نكون مطمئنين يوم الدينونة، فنحن في هذا العالم كما أنّه هو.

لا خوف في المحبّة، بل المحبّة الكاملة تنفي الخوف، لأنّ الخوف يعني العقاب ومن يخف لم يكن كاملاً في المحبّة.

أمّا نحن فعلينا أن نحبّ لأنّ حبّ الله لنا سابق لحبّنا.

إذا قال أحدٌ : إنّي أحبّ الله وهو لايحبّ أخاه، كان كاذبًا لأن الذي لا يحبّ أخاه وهو يراه، لا يستطيع أن يحبّ الله وهو لا يراه. (رسالة يوحنا الأولى ٤/٧-٢٠).

لأجل الحوار في الفرقة

- ماذا نفهم من عبارة " أن نحبّ الله بكلّ قلبنا وكلّ نفسنا وكلّ قدرتنا"؟
- – كيف نعيش واجبنا القاضي بان نحبّ أنفسنا؟

- عندما نراجع حياتنا (على الصعيد الشخصي أو الزوجي)، هل نولي الأعمال التي نقوم بها الأهمية الكبرى، أم النيّة التي تدفعنا إلى القيام بهذه العمال؟ ما هي الدوافع التي نستند إليها عادة؟ هل هي التي يعرضها علينا يسوع في عظته على الجبل؟

***** تمّ توجيه السؤال التالي إلى أندريه كونت سبونفيل –**
André Conte – Sponville

في بثّ تلفزيوني:

- ماذا سيقول لك الله عند استقباله لك في الجنّة؟ فأجاب:
- سيقول: " إنّي أحبّك منذ زمن طويل".

*****

نصوص

دعوات إلى الحبّ

الله محبّة، إنّه يحبنا. الكتاب المقدّس مفعم بهذه الصرخة.

لنتذكّر ما ورد في العهد القديم عن "الإله الرحيم والرؤوف والطويل الأناة، البطيء عن الغضب والكثير المراحم"، وما أكّده القديس بولس في العهد الجديد من "أن لا شيء في وسعه أن يفصلنا عن محبّة الله لنا في ربّنا يسوع المسيح" (رومة ٣٨/٨).

الله هو الذي أحبّنا أولاً.

إنّ أول اختيارعلينا أن نقوم به هو اختيار محبّة الله لنا! "إنّه ما ينبغي أن نتأكّد منه أو نساعد على اكتشافه. ما من أحد يستطيع أن يعيش دون محبّة، والله وحده يحبّنا حبّاً يتجاوز ما نستحقه" (ميشيل أولانس– Michel Ulens).

ثمّ إنّنا، باعتمادنا على حبّ الله لنا، نصبح بدورنا قادرين على المحبّة، وهذا هو تعليم المسيح: " **ليحبّ بعضكم بعضًا كما أحببتكم**"، وهذا ما نقله إلينا القديس يوحنا: "أمّا نحن فعلينا أن نحبّ لأنّ حبّ الله لنا سابق لحبّنا". (١ يو ١٩/٤).

إذا ما بحثنا عن جوهر رسالة المسيح، نجد أنّ "ما يقوله لنا" (وهذا هو عنوان موضوعنا) في رسالة الحبّ تلك (حبّ الله وحبّ القريب)، نعجز عن فهمه أو استيعابه بالكامل، إذ يكوِّن حقاً مفتاح الصرح المسيحي، إنّها "**الوصيّة الأولى**".

إنّ هذا التحرّك المزدوج من يقيننا بحبّ الله لنا إلى حبّنا للقريب، نجده في الشهادة الآتية: "ما يهمّ هو رغبتنا المتنامية في استقبال حبّ الله على نحوٍ أفضل فأفضل حتى ننغمر به حتى نستطيع معه نقله إلى الآخرين". (من شهادة أحد الأعضاء).

*** **الحبّ وحده له القدرة على أن يكشف لنا جزءًا من العالم الذي فكّر فيه الله عندما خلقه".**

(من يوميات خورنية مدينة نانتير – Nanterre).

* دروب لأجل واجب المجالسة

– ما هي الأعمال الحسيّة التي نؤدّيها ليساعد كلّ منّا الآخر في تطبيق نقطة الجهد الحسيّة لهذه السنة: الإصغاء إلى كلام الله؟

– هل نسعى إلى تقاسم القراءة اليومية، وما شدّ انتباهنا إليها، وما ساعدتنا على القيام أو عدم القيام به؟

*** **"إذا كنتم تبحثون عن السعادة، فاحتمال الحصول عليها ضعيف. ما يجب البحث عنه إنّما هو الحبّ، فنتيجة الحبّ هي السعادة".**

(من كتاب: العيش المسيحي – للأب فاريّون)

Varillon: Vivre le Christianisme, ed: Centurion

*****

الفصل الثالث

يقول الربّ لنا: "وضعتُ في أعماقكم نورًا ليرشدكم"

يحتاج الإنسان، بما أنّه صورة غير كاملة لله، إلى عونه تعالى ليحبّ على مثاله. إنّ الله يقدّم لنا نقاط استدلال لنحبّ حبّاً أفضل.

كثيرًا ما نبحث خارج أنفسنا عن نقاط استدلال لنتصرّف، بيد أنّه يوجد في أعماق كلّ منّا ما يشبه "بوصلة داخلية" تساعدنا على أن نستشعر أين هو الخير وأين هو الشرّ، كأنّها صوت داخلي ضعيف يزعجنا في بعض الأحيان، إنّه ما نسمّيه **الضمير**.

* هل يكلّمنا الله عن طريق ضميرنا؟
* كيف ندرك هذا الضمير؟
* كيف ننيره؟

١- صوت الضمير:

يوضّح لنا القديس بولس أنّ الوثنيين، وإن كانوا لا يعرفون الله، إلاّ أنّ لهم ضميرًا (رومة ١٤/٢)، فهناك العديد من الناس ذوي النيّات الحسنة لا يؤمنون بالله، بل يتصرّفون "بذمّتهم وضميرهم"، يحترمون حقوق الإنسان ويناضلون من أجلها ... لأنّهم يشعرون بأنّ هو ذلك طريق الخير والمدنية.

" فالوثنيون الذين بلا شريعة إذا عملوا بالفطرة ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، مع أنّهم بلا شريعة، فيدلّون على انّ ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب في قلوبهم وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم، فهي تارة تشكوهم وتارة تدافع عنهم" (رومة ١٤/٢-١٥).

وقد لخّص الدستور الراعوي الذي أصدره المجمع الفاتيكاني الثاني، حول **الكنيسة في عالم اليوم**، تعليم القديس بولس هذا بقوله : " يكشف الإنسان في أعماق ضميره وجود شريعة لم يسنّها لنفسه ولكن عليه أن يخضع لها. إنّ هذا الصوت الذي لا ينفك يُحرجه ليعمل الخير ويحبّه، ويتجنّب الشرّ، يدوّي في الوقت المناسب في صميم قلبه. " اصنع هذا، وتجنّب ذلك "، لأنّ هذه هي شريعة وضعها الله في قلب الإنسان؛ وإنّ كرامته تقوم بالخضوع لها لأنّها هي التي ستحكم عليه" (رقم ١٦).

بتعبير آخر، يشركنا الله في رؤيته العالم بوضعه هذه الشريعة في أعماق قلوبنا. نرى على مثاله **روعة الحقيقة** الأخلاقية التي تسطع في أعماق قلوبنا كشمس عظيمة. إنّ الطفل سرعان ما يدرك في صميمه أنّ العمل الشنيع غير مُستحبّ.

٢- صوت يمكننا أن نرفض سماعه

هذا الصوت الضعيف الذي يتكلّم في عمق قلبنا، لنا حرية الإصغاء إليه. فللإنسان إمكانية رهيبة يدرك بها أين يكون الخير، لكنّه يصنع الشر، وفي ذلك بالضبط يكمن **الذنب الأخلاقي** : نصنع الشرّ ونحن نعلم ما هو الخير. نجرح هذه **الانطلاقة** نحو الخير التي أرادها الله بسبب تحالفنا السريّ مع الشرّ بحيث يأتي صوت ضعيف آخر يبعدنا عن الشريعة الحياتية المندرجة في طبيعتنا، ويفهم المسيحي هذا الجرح على أنّه نتيجة **الخطيئة الأصلية**. فمع أدم، مارس الإنسان حريته في اختيار الشرّ مستسلمًا لكبريائه (الرجوع إلى وعد الحيّة :" تصيران كآلهة")، ولم يتّسم بالتواضع اللازم ليقبل تدريجيًا الطريق الذي يقوده نحو التألّه (الرجوع إلى الفصل الأول).

إنّ المسيحي الذي يحاور ضميره إنّما يحاور الله، وقد كتب القديس بونافنتورا – Bonaventure : " الضمير كبشير الله وكرسوله، ما يقوله لا يقضي به من تلقاء نفسه، بل يقضي به لأنّه صادر عن الله، كمبعوث الملك عندما يعلن أوامره. ويستنتج من ذلك أنّ الضمير ملزم للإنسان".

يساعد الضمير الإنسان على الانفتاح حتى يستقبل شريعة الله، ويدعوه إلى تطبيق هذه الشريعة في حياته الخاصة. الإنسان حرّ في رفض ما يعرض عليه الله وهو يعلم أنّ تصرّفه سيبعده عن الحياة المقترحة عليه، وهذا ما يسمّى " **بالخطيئة**". فالخطيئة، كما لاحظ تيفينو – Thévenot ، تبتدىء بإغفال كلام الله : " أمام تلميحات الحيّة ، وسّعت المرأة نطاق محظورات

الله حيث قالت : قال لنا الله : " لا تأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر ولا **تمسّاه** "، في حين أنّ الله لم يمنع مسّه. لذلك جاء العهد الجديد ليؤكّد : **اسهروا وصلّوا لئلا تقعوا في التجربة.** السهر إذاً، هو الجاهزية الدائمة لاستقبال كلام الله".

(ماذا يمكن أن نقول عن الخطايا؟ – Les péchés que peut–on en dire?)

طُرح هذا الخيار في تاريخ شعب الله في مناسبات عدّة، الخيار بين طريق السعادة والحياة وطريق التعاسة والموت، إنّه المعنى الكامن في اختيار الطرق إبّان **الخروج** إذ اختار الشعب في بعض الأحيان طريق التخلّي عن الإنسانية بابتعاده عن الله، وبرفضه التقدّم باتجاهه، وببقائه في عبادة العجل الذهبي لأنّ ذلك لا يتطلّب منه بذل الجهود ليرسم لنفسه طريقاً متقدمًا.

إنّ الناس، من فرط مخالفتهم الضمير الأخلاقي، ينتهون إلى حجبه. لا بدّ إذاً من تربية هذا الضمير.

٣– ضمير علينا تربيته

نعلم من خلال التاريخ كم لزم من القرون حتى يعي الإنسان طابع الرقّ والتعذيب والإجهاض الخبيث ... ونعلم أنّه حتى في أيامنا هذه، لم يتّضح هذا الأمر للجميع.

ذلك بأنّ ضميرنا، حتى في الوقت الحاضر، ليس قاضيًا معصومًا من الغلط، بل هو معرّض له:

– يمكن أن يتعتّم ضميرنا (بمعنى أن يغرق في الظلام) من " بُنى الخطيئة" التي نعيش فيها، إذ توجد عقليات جماعية ضالّة كلّيًا، ويكفينا هنا أن نذكر الذين يعتقدون أنّه يحقّ لهم أن يغشوا عند التصريح عن دخلهم أو أن "يبذروا" أموالهم.

– ويمكن أيضًا أن يُصاب ضميرنا بالعمى من جرّاء ما يُسمّى " سوء النيّة "، أي أنّ العيش بخلاف ما نفكّر يبلغ بنا إلى أن نفكّر كما نعيش. إذا كنّا معرّضين لارتكاب أخطاء بسبب جهل مستعصٍ ، فهناك أخطاء لا نستطيع رؤيتها لأنّنا لم نسعَ إلى الالتفات نحو النور أو لأنّنا نرفض رؤيتها. لقد أشار إنجيل يوحنا إلى ذلك حين تحدّث عن اليهود الذين رفضوا الاقتراب من يسوع، نور العالم، لأنّ أعمالهم شريرة (٣/ ١٩). وفي المقابل، يتابع قائلاً : " أمّا الذي يعمل للحق فيُقبل إلى النور" (يو ٣/ ٢١).

" إنّ الضمير الذي عنه يصدر الحكم الواقعي النهائي يعرّض كرامته للخطر، لجهل يؤاخذ به، أي " إذا كان لا يهتمّ بطلب الحق والخير وكاد تقلّبه في الخطيئة يُعمي بصيرته " وإلى أخطاء انحراف الضمير يشير يسوع بتحذيره ". سراج الجسد العين، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كلّه يكون مظلمًا؛ فإن كان النور الذي فيك ظلامًا، فالظلام كم يكون مدلهمًا ! " (متى ٦/ ٢٢-٢٣) (تألّق الحقيقة للبابا يوحنا بولس الثاني – رقم ٦٣).

٤- طريق تربية الضمير

عندما نبلغ سنّ الرشد نصبح مسؤولين عن ضميرنا، وعلينا أن نتابع تنويره وتحرير حريتنا من عواقب التربية غير الصحيحة، أو من التأثيرات السيئة، أو من تركيبة المجتمع اللاإنسانية ...

لأنّنا متّحدون في سرّ الزواج، علينا أن نتساعد لتنوير ضميرنا :

- بالحرص على الحقيقة " تأتي كرامة الضمير دائمًا من الحقيقة " (تألّق الحقيقة: رقم ٦٣).
- بالتآلف مع كلام الله وباقتسامه بيننا كزوجين.
- باختيار قراءاتنا ومعاشرينا ...
- باتخاذ القرارات مشتركين معًا، مستنيرين بواجب المجالسة، تاركين الروح القدس يقودنا، على حدّ قول بولس الرسول : " ضميري شاهد لي في الروح القدس" (رومة ٩/ ١).

فضلاً عن ذلك، فإنّ الكنيسة تساعدنا كثيرًا في تأهيل ضميرنا (الرجوع إلى الفصل السابع).

ونحن نتحمّل بدورنا كوننا آباء وأمهات ومربّين في التعليم المسيحي ومعلّمين ومرافقين للشباب .... تلك المسؤولية تجاه الآخر: " إنّ مهمّة الوالدين المسيحيين التربوية المتأصّلة، على ما أشرنا إليه آنفاً في مشاركتهم في عمل الله الخلاّق، تجد لها ينبوعًا جديدًا في سرّ الزواج الذي يكرّسهم لتربية أبنائهم تربية مسيحية فريدة، وهذا يعني أنّ هذه المهمّة تدعوهم إلى مشاطرة الله الآب والمسيح الراعي السلطة والمحبّة، ومشاطرة الكنيسة الأمّ محبّتها الوالدية، وهذا سرّ يغنيهم بالحكمة، والمشورة، والقوة، وسائر هبات الروح القدس، ليساعدوا أبناءهم على إدراك نضجهم الإنساني والمسيحي.

وينهل واجب التربية من معين سرّ الزواج ما له من كرامة وكونه دعوة إلى " خدمة" الكنيسة، خدمة حقيقية خاصّة تعمل على بنيان أعضاء هذه الكنيسة" . (في وظائف العائلة المسيحية للبابا يوحنا بولس الثاني – رقم ٣٨).

لا تقوم مسؤوليتنا في تربية ضمير من عُهدوا إلينا فحسب، بل علينا أيضًا أن نحترم ضميرنا وضمير الآخرين، وقد أكّد المجمع الفاتيكاني الثاني حرمة الضمير البشري بحيث لا يجوز أبدًا إلزام أحد بأن يعمل خلاف ضميره.

لأجل الصلاة

" فقال يسوع : جئت هذا العالم لإصدار حكم : أن يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون. فسمعه بعض الفريسيين الذين كانوا معه فقالوا : أفنحن أيضًا عميان؟ قال لهم يسوع : لو كنتم عميانًا لما كان عليكم خطيئة، ولكّنكم تقولون الآن إنّنا نبصر، فخطيئتكم ثابتة " (يوحنا ٩/ ٣٩– ٤١).

لأجل الحوار بين الزوجين

<u>التعاون في الإصغاء إلى كلام الله:</u>

- لماذا نعت يسوع الفريسيين بأنّهم عميان؟
- بماذا نحن عميان؟
- ماذا يقدّم لنا يسوع؟

<u>دروب لأجل واجب المجالسة</u>

- هل نحرص على أن ينير كلّ منّا ضمير الآخرين؟
- كيف نعبّر عن ذلك؟

- هل نعيش واجب المجالسة في ضوء الله؟ ما هي الوسائل التي نستخدمها : الصلاة؟ قراءة كلام الله؟
- ما هي الوسائل التي نستعملها لتربية ضمير أولادنا؟ ما الذي في وسعنا أن نفعله أيضًا؟
- يقال إنّ الزواج يولّد ضميرًا زوجيًا يمكن تعريفه بأنّه ضمير مشترك بين اثنين، بالإضافة إلى الضمير الشخصي. ما رأيكم؟

دروب لأجل قاعدة الحياة (المقصد):

- إيجاد وسيلة جديدة لإنارة ضميري : قراءة وثيقة من تعليم الكنيسة، محاضرة ...
- أخذ موعد مع مرشدي، إن وجد ...
- الانتباه لتربية ضمير أحد أولادي حول موضوع معيّن ...

نص للتأمل

خنتُ حبّك، وفي الليل تركت يدك التي كانت تقودني. لم أدرك أنّ النور الذي في داخلي، إنّما هو انعكاس مجدك. لقد نسيتُ اسمك ... يا أبتاه.

ألا انهض وابحث عنّي ما وراء خوفي ...

ألا انهض وقدني إلى عتبة دارك ...

ألا انهض وألبسني ثياب العيد ...

ألا انهض، فإنّك لم تنسَ اسمك ... يا أبتاه ...

ترنيمة:

يا أبتاه، يا أبتاه، قد خطئتُ إلى السماء وإليك

يا أبتاه ولا أستحقُ بعد أن أدعى لك ابنًا.

لأجل الحوارفي الفرقة

- كيف ندرك ضميرنا؟
- ألدينا أمثلة عن أوقات لم نُصغِ فيها إليه؟ أو صعُبَ علينا فيها الإصغاء إليه؟
- هل نعتقد أنّ الله يكلّمنا بواسطة ضميرنا؟
- كيف نُنير ضميرنا؟ بأيّ وسائل حسيّة؟
- كيف نربّي ضمير أولادنا؟ ما هي المصاعب التي تواجهنا؟
- هل نشرك معنا في هذه المسؤولية أشخاصًا آخرين (مدرّسين، مربّين في التعليم المسيحي، منعشي حركات شبابية ...) ؟ هل نرغب في الحصول على مزيد من العون؟ أو نتمنّى إعفاءنا من هذه المسؤولية؟ أو على العكس، لا نرغب في أن يتدخّل أحد في هذا المجال؟

نصوص

مقتطفات من رسالة " تألّق الحقيقة"، العدد ٥٩

"حكم الضمير هو **حكم عملي**، إذ إنّه يملي على الإنسان ما يجب عليه أن يفعل وما يجب عليه أن يتجنّب، أو إنّه يدين فعلاً ما فعله. إنّه حُكم يُطبّق على حال معينة : اقتناع العقل بالمبدأ القائل بأنّ علينا أن نحبّ الخير ونعمله وأن نتجنّب الشرّ. وهذا المبدأ الأول للعقل العملي يختصّ بالشريعة الطبيعية، إنّه أساس لها، لأنّه يسلّط على الخير والسرّ ذلك الضوء الأول، انعكاس حكمة الله الخالقة التي هي في النفس **الشرارة الخالدة**، تتألّق في قلب كلّ إنسان. لكن بما أنّ الشريعة الطبيعية تعلن بالعموم المقتضيات العمليّة العامة لاستقامة الأخلاق، يطبق الضمير هذه الشريعة كما يلزم على الحالات الخاصة، فتصير للإنسان ناموسًا في داخله ودعوة إلى عمل الخير في ظرف معيّن ومحدّد. إنّ **الطابع الإلزامي الذي ترتديه الشريعة** لا يسقط، بل بالأحرى يتعزّز، بتطبيق الشريعة على حادث **معيّن راهن** في الحياة اليومية".

الأخلاق وأبعادها الثلاثة

من أجل تفكير سليم في الأخلاق، من المناسب توضيح هذه الأبعاد الثلاثة:

- البعد **الشامل** : عبّرت عنه حكمة الفيلسوف " كانت – Kant " القائلة : " تصرّف دائمًا بحيث يكون مبدأ تصرّفك قابلاً للشمولية "، ماذا سيجري إذا فعل كلّ الناس ذلك؟ إنّه بُعد التعاليم (مثلاً: يجب احترام الغريب).
- يطبّق المرء هذه التعاليم الشاملة في زمان ومكان معيّنين يعيش فيهما، (المجتمع، الفترة). إنّه البعد **الخاص**، بعد المبادىء (مثلاً، ماذا يعني احترام الغريب في مدينة ... عام ١٩٩٧؟).
- في وسع الإنسان أن يختار تطبيق هذه المبادىء أو عدم تطبيقها في حياته اليومية : إنّه البعد **الخاص جدًا** الذي يتمّ فيه إعداد القرارات (مثلاً : هل أستضيف هذا اللاجىء في بيتي؟).

إذا صمت الإنسان، يتكلّم الله. فعندما نترك الماء

ساكنًا، يعكس صورًا لا تشاهد إذا ما حرّكناه.

عمانوئيل بيرل – Emmanuel Berl

الفصل الرابع

يقول الربّ لنا : " أقمتُ عهدًا معكم"

منح الله الإنسان نورًا داخليًا ليقوده في طريق الحياة، هو ضميره (الرجوع إلى الفصل ٣). غير أنّ هذا النور الحميمي يكون ضعيفاً ومتأرجحًا في بدايته، وهو يحتاج إلى تربيةٍ وتصحيح وتنمية. لذلك عمد الله إلى منح الإنسان عطاء آخر، هو الشريعة.

- هل نعتقد أنّ الحبّ هو أساس الوصايا العشر؟
- هل ترشدنا هذه الوصايا في تصرفاتنا؟

ليست لكلمة **شريعة** سمعة حسنة في أيامنا الحاضرة، لذلك لا بدّ من معرفة ما هي الحقيقة التي تنطوي عليها هذه الكلمة في الوحي الكتابي، لأنّها حقيقة جوهرية يجب فهمها لأجل حياتنا.

١- أعطيت الشريعة في نطاق " العهد"

العهد هو الحقيقة الكتابية العظمى. يعبّر العهد عن مخطّط الله الأساسي الذي يريد أن يرشد البشر إلى عيش حياة اتّحاد معه، حياة في شركة المحبّة (انظر الفصل الثاني). بيد أنّ للشريعة ارتباطاً وثيقاً باختيار الله لشعبه، وهذا ما أدّى إلى إقامة العهد. لذلك يجب على الإنسان أن يستجيب لوعد الله فيطيع أحكام الشريعة.

نرى ذلك في مراسم حدث العهد، إذ تضمّنت التزامًا بالتقيّد بالشريعة الإلهية. فلمّا أعلن الربّ قائلاً : " الآن، إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي، فإنّكم تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب"، أجاب الشعب بالإجماع : " كلّ ما تكلّم الربّ به نعمله" (خروج ١٩/٣-٨). وبعد ذلك، تمّ ختم هذا العهد بدم ذبائح العجول: " فجاء موسى وتلا على مسامع الشعب جميع كلام الربّ وجميع الأحكام، فأجابه الشعب كلّه بصوت واحد وقالوا: " جميع ما تكلّم به الربّ نعمله ونسمعه ... فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال :" هوذا دم العهد الذي قطعه الربّ معكم على جميع هذه الأقوال" (خروج ٢٤/٧-٨).

وهكذا، إن بدت متطلّبات الشريعة قاسية، فهي في الواقع نعمة، إذ أنّها ترمي إلى أن تجعل من هذا الشعب شعبًا مقدسًا، شعب الله : "سأكون لكم إلهًا وتكونون لي شعبًا".

٢- الشريعة هبة من الله

تبدو الشريعة إذاً، كعطاء من الله، ولا بدّ من أن يُفيد أنّ كلمة "توراة Torah" هنا لها معنى أوسع، وأنّ طابعها القانوني هو أقل من كلمة "قانون" التي نستخدمها، فهي تدلّ على "تعليم" أعطاه الله للناس ليضبطوا سلوكهم فيقودهم في طريق السعادة والحياة. شريعة الله هي إذاً، هدية رائعة مقدّمة للإنسان، تضعه أمام اختيار أساسي يوجّه حياته كلّها : " انظر إنّي قد جعلت اليوم أمامك الحياة والخير، والموت والشر. إذا سمعت إلى وصايا الربّ إلهك التي أنا آمرك بها اليوم، محبًا الربّ إلهك وسائر في سبله وحافظاً وصاياه وفرائضه وأحكامه، تحيا وتكثر ويباركك الربّ إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها" (تثنية ٣٠/١٥-٢٠).

هكذا، فإنّ الشريعة مصدر بركات لشعب الله ولأفراده : " وإذا أطعت أمر الربّ إلهك، حافظاً جميع وصاياه التي أنا آمرك بها اليوم وعملت بها، يجعلك الربّ إلهك فوق جميع أمم الأرض. وتحلّ عليك جميع هذه البركات وتشملك. إذا أطعت أمر الربّ إلهك، فتبارَك في المدينة وتبارَك في الصحراء ... " (تثنية ٢٨/ ١- ١٤ ، قراءة المقطع بكامله).

إذا اتّسمت الشريعة بمثل هذا الغنى، فلا غرو أن يجعل منها المؤمن موضوع تأمّله الدؤوب وتسبيحه، كما يشاهَد ذلك في المزامير، لا سيّما المزمور ١١٩ الطويل (١١٨): " طوبى للكاملين في سلوكهم، للسائرين في شريعة الربّ ... ليت طرقي تثبت لحفظ فرائضك ... حينئذٍ لا أخزى إذا نظرتُ إلى جميع وصاياك ... أحمدك بقلب مستقيم إذا تعلّمت أحكام عدلك ... إنّي أحفظ فرائضك ! فلا تتركني تمامًا ... بكلّ قلبي التمستك، فلا تضللني بعيدًا عن وصاياك ... "

٣- الشريعة مُربيّة

كان دور الشريعة، كما أبرزه القديس بولس، تأديب شعب الله وإرشاده إلى المسيح (غلاطية ٣/ ٢٤- ٢٥).

وهذا بديهي في ما يختص بجوهر هذه الشريعة، ألا وهو الوصايا العشر. تتقدّم الوصايا إشارة إلى تحرير الشعب من أرض مصر، إذ كان لا بدّ للشعب أن يُعتق من كلّ عبوديّة حتى يستطيع أن يخدم الله. " ثم تكلّم الله بجميع هذا الكلام قائلاً : " أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من

أرض مصر من دار العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي ... " (خروج ٢٠/ ١- ٢١ : قراءة المقطع كلّه، وأيضًا تثنية ٥/ ٦- ٢١).

في الواقع، إنّ الوصايا العشر هي توضيح " الشريعة الطبيعية" التي دوّنها الخالق في قلب الإنسان، والتي تتيح له أن يعي ضميره على نحوٍ أسهل وأوضح (الرجوع إلى الفصل الثالث). يشهد تاريخ الشعب بأسره أنّ تربية شعب الله بواسطة الشريعة الإلهية كانت عملاً طويلاً وشاقاً، إذ تخلّله الفشل والتكرار : فقد أرسل الله الأنبياء ليعيدوا شعبه باستمرار إلى طريق العهد الشاخص في الشريعة، وليعلنوا عصرًا جديدًا تكون فيه الشريعة محفورة، لا على ألواح من حجر، بل في أعماق القلوب (أرميا ٣١/ ٣٣) بالروح الذي سيحوّلها (حزقيال ٣٦/ ٢٦) (انظر الفصلين ٥ و ٦).

٤- إذا كانت الشريعة تنير، فالحبّ هو الذي يحرّك

مهما بلغ دور الشريعة من الأهميّة، فإنّ لها حدودًا. فهي ليست سوى وسيلة في خدمةالحبّ. أمّا إذا اعتبرت كغاية، فتصبح عقبة وتوقع صاحبها في الشرعَوية أوالفريسيّة، وهذا ما يفسّر انتقادات القديس بولس للشريعة : تتيح الشريعة معرفة الخير، لكنّها لا تعطي القوة لإنجازه، ويؤكّد بولس : " الإنسان لا يبرّر لأنّه يعمل بأحكام الشريعة، بل لأنّ له الإيمان بيسوع المسيح " (غلاطية ٢/ ١٦، رومة ٣/ ٢٨)، يحذر بولس الرسول من خطر مراعاة الشريعة مراعاة مادية من دون إشراك القلب، شأنه شأن أنبياء العهد القديم، ويسدّ الطريق أمام مفهوم خاطىء للخلاص بقوله : إنّ الإنسان لا ينال الخلاص بتقيّده بالشريعة الإلهية، بل يناله بإيمانه بالمسيح (انظر الفصلين ٥ و ٦).

هل يعني ذلك أنّه ما عادت هناك قواعد سلوكية لمن يؤمن بالمسيح؟ أجل ! تنبع القواعد من المحبّة، محبّة مثل "حب المسيح" يسكبها الروح القدس في قلب المسيحي ليحوّله. عندئذٍ تتحوّل الشريعة، التي تحتفظ بدورها التربوي، إلى "شريعة المسيح" في خدمة " **الآغابي – Agapé**" (أي باللغة اليونانية الحبّ الذي هو من حياة الله والذي ينقله إلينا) إلى أن يتغلغل الإنجيل إلى حياة الإنسان كلّها.

٥- عهد الزوجين

الزواج المسيحي سرّ لعهد الله مع الجنس البشري وسرّ لقران المسيح بالكنيسة، أي إنّه يشترك في سرّ العهد هذا، وفي الوقت ذاته هو علامة منظورة وشهادة له في عيون الناس. الزوجان المسيحيان إذاً معنيان كليّاً بهذا الحبّ المطلوب الذي هو جوهر العهد، وحبّهما البشري مدعوّ إلى تجلّي حبّ "الآغابي". إلاّ أنّهما معنيان أيضًا بدور الشريعة الضروري في مسيرتهما نحو حبّ أرفع، ويذكّرنا علماء النفس بأنّ الشريعة، في ما تنطوي عليه من محظورات، تقوم بدور بناء شخصية الإنسان، وكذلك هي الحال بالنسبة إلى الزوجين. لذلك عليهما أن يوليا ما تقوله الكنيسة اهتمامًا كي ينيرا ضميرهما (انظر الفصلين ٣ و ٧).

لأجل الحوار بين الزوجين

– ما الذي يخطر ببالنا، تلقائيًا، عندما نسمع كلمة **شريعة**؟ هل عدّلت قراءة هذا الفصل مفهومنا للكلمة المذكورة؟

– كيف نعيش مخالفاتنا شريعة الله؟

– هل نتجرّأ على فرض محظورات على أولادنا؟ هل نشرح لهم أسباب هذا الحظر؟

لأجل الحوار في الفرقة

– يقال إنّه يجب على كلّ كائن بشري أن يعيد مسيرة الإنسانية حتى يبلغ الضمير الأخلاقي وإنّه يحتاج إلى شريعة لأجل ذلك، فما هو رأيكم؟

– ماذا تمثل الوصايا العشر بالنسبة إلينا؟ بأيّ نصّ نستطيع ترجمتها حاليًا؟ (انظر نصّ موريس بيلّيه – Maurice Bellet).

– هل اعترضتنا نزاعات بين الشريعة المدنيّة وشريعة الله (يجب تقديم أمثلة عملية)؟ كيف تدبّرنا الوضع؟ ما هي الحجّة التي تبدو لنا حاسمة؟

لأجل الصلاة

"ثمّ تكلّم الله بجميع هذا الكلام قائلاً :" أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي، لا تصنع لك منحوتًا ولا صورة شيء ممّا في السماء من فوق ولا ممّا في الأرض من أسفل ولا ممّا في المياه تحت الأرض. لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ أنّي أنا الربّ إلهك، إله غيّور أفتقد ذنوب الآباء في البنين إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ، وأصنع رحمة إلى ألوف من محبيّ وحافظي وصاياي. لا تحلف باسم الربّ إلهك باطلاً لأن الربّ لا يزكّي من يحلف باسمه باطلاً.

اذكر يوم السبت لتقدّسه، في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك واليوم السابع سبت للربّ إلهك، لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبواب. لأن الربّ في ستة أيام خلق السموات والأرض والبحر وجميع ما فيها وفي اليوم السابع استراح ولذلك بارك الربّ يوم السبت وقدّسه.

أكرِم أباك و أمّك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الربّ إلهك إياها.

لا تقتل

لاتزن

لا تسرق

لا تشهد على قريبك شهادة زور

لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً ممّا لقريبك ..." (خروج ٢٠/ ١- ١٧).

نصوص

... لأنّكم ستباشرون بالاحترام. لا تقولوا أبدًا : العجوز التي تضيء شمعة وتتمتم بالخرافات، أو هذا الإنسان المنحرف الأخلاق هو سافل، أو هذا الرجل الثوري الحادّ هو ساخط، أو هذه المرأة المشاكسة والمحتكرة لأولادها هي مريضة. لا تقولوا شيئاً من هذا القبيل، لا تضعوا أخاكم ومثيلكم في سجن ... **لا تقتل.**

باشروا بالاحترام، لا تقولوا : الله هو كذا وكذا، إنّه موجود أو غير موجود، (أي إنّه كما أتصوّره أو ليس هو كما أتصوّره)، ولا تنسبوا إليَّ الأقوال التي تناسبكم، ولا تستغلوا ما يرد مني إلى آذانكم من بعيد لتجعلوا منه مبرّرًا لجرائمكم، **لا تصنعوا صورة منّي**.

لا ترنّموا هنا وهناك، بحسب مزاجكم أو بحسب القوّة التي تدفعكم أو الصراعات أو التقاليد أو لِما يريحكم. ابقوا قائمين على الصخر متمسّكين إلى أقصى حدّ بالحقيقة والعدالة، ولكن اعلموا أنّ الحقيقة والعدالة ليستا حكرًا لكم وإنّي لا أمقت شيئاً مثل التعصّب والمصادرة الشنيعة للأموال من دون دفع الثمن. لا تتعلّقوا بالمال، أو بالعنف، أو بالسلطة، أو بالمتعة، أو ببعض الأسياد، أو بالمعلّمين، أو بالآباء، أو بأنفسكم، كونوا أحرارًا. **لا يكن لكم إله سواي وحدي**.

باشروا بالاحترام. اتركوا آباءكم وأمّهاتكم لتعيشوا حياتكم الخاصة تحت شمسي. لا تستعيضوا عن أبيكم أو أمّكم بشخص آخر، متذرّعين بأنّكم ستخدمونني خدمة أفضل. ستتركونهم وتذهبون بعيدًا للتعرّف إليهم كما هم ولمعرفتهم، ذكرًا وأنثى، مماثلين لكم، ولشكرهم لأنّهم وهبوكم الحياة. فإنّهم وإن لم يعطوكم المزيد وحتى إن لم يرغبوا في مجيئكم أو في أن ينقلوا إليكم آلامهم وتعاستهم، إلاّ أنّهم وهبوكم الحياة. ثمة أمر نبع منّي فتجاوزهم وعبر فيهم، فأنجبوكم، وما كنتم لتوجدوا لولاهم. وهكذا ستتصالحون معهم (ربما بثمن باهظ)، **أكرم أباك و أمّك**.

باشروا بالاحترام، لا تنتزعوا من الآخر ما هو له، ما هو جزء من حياته الخاصة، ما يوفّر له وسائل العيش، ما يدعمه في المعيشة، لا تنتزعوا منه طعامه أو بيته أو عمله أو الذين يحبّهم : زوجته، أولاده، إخوته، أصدقاءه. لا تأخذوا منه يقينه، وآماله، ورغبته والعمل الذي يضع فيه عقله وقلبه ويديه. لا تأخذوا منه حياته، ولا تأخذوا منه موته. لا تنتزعوا منه عنوة ما يبقيه على قيد الحياة. **لا تأخذوا منه مال الآخر، ولا تأخذوا منه امرأته**.

باشروا بالاحترام. لا تنعتوا أحدًا بأنّه جبان أو دنيء أو سوقي. لا تنعتوا أحدًا بأنّه برجوازي أو عبد أسود أو بخيل أو زنجي أو مراقب ... علمًا بأنّ ما تعتبرونه إساءة قد يكون علامة كرامة في عينيه. لا تجعلوا من أحد، كائنًا من كان، مجرّد متعة بين أيديكم. لا تلوّثوا الكلام البشري ولا المكان الذي أنا فيه، لا تلوّثوا كلامكم بإنكاركم العدالة، بالإغراء المخادع، بالاحتقار المُهين، بتشويه الحقيقة، بالابتزاز، بأيّ شيء من شانه تضليل الآخرين أو إيقاعهم في الشرّ. إذا تكلّمتم عنّي سوءاً، لن أستاء لأنّكم لا تعرفون كيف تتكلّمون عنّي خيرًا، سأستمع إلى صراخكم ولعناتكم وتذمّركم، سأتفهّم حتى كيف أنّكم، بسبب جهلكم إيّاي أو كونكم مدفوعين إلى النظر إليَّ على غير حقيقتي كلّها، ذهبتم إلى حدّ لعني أو عدم الاكتراث بي. بيد أنّي لن أغفر لكم إذا أصررتم

على سحق ما يشهد لي حيث أنتم : احترام الحقيقة، احترام الحياة، وما هو الأهم : احترام من هو مثلكم، الإنسان الآخر، **لا تجدّف، لا تشهد بالزور**.

لا تعيشوا فقط لأجل العمل أو المال أو لَهوِكم أو زيادة سلطتكم أو تأمين استقرار ذويكم ومنفعتهم. باشروا بتوفير محلّ للراحة الكبيرة ولوقت الفراغ الكبير حيث تكونون جاهزين لِما سيأتي، ولِما هو دون ثمن. احفظوا بكلّ عناية المكان الموجود أنا فيه، **احترم يومي**.

باشروا بالاحترام. عندئذٍ يتاح لكم الدخول في طريق المستحيل حيث تعانون أقصى العذاب وحيث لن يأتي أحد ليختطف منكم بهجتكم. هذا هو باب سعادتي.

موريس بيلليه – Maurice Bellet

<u>وثيقة تقنية</u>

كلمة " شريعة " ومعانيها المختلفة في الكتاب المقدّس.

تدلّ كلمة **توراة – Torah** (أي الشريعة باللغة العبرية) على الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس خاصة، وهي أسفار منسوبة إلى موسى وتتضمّن مشيئة الله في شعبه.

الشريعة، بحصر المعنى، هي التعليم الذي أوحاه الله إلى شعبه لينظّم سلوكه، ولا يجوز أبدًا عزلها عن الله الذي يعطيها وحده قيمتها عن طريق كلمته. والوصايا العشر، إن لم تصبح حوارًا، تتصلّب وتتحوّل إلى بيان وحسب.

لم يُبطل يسوع شريعة العهد القديم، أي الشريعة بوصفها وحيًا حيّاً، بل قادها إلى كمالها. وإنّه، إذ خضع لها، ربط تعاليمها بضرورة الاهتداء الداخلي وعارض الشرعوية المعاصرة له والتي كانت تبالغ في إعلاء قيمتها. وعمد بصورة خاصة إلى تلخيصها في وصيّة مزدوجة هي حبّ الله وحبّ القريب وجعلها جذرية بمماثلته إيّاها بواجب المحبّة المطلق واضفى عليها طابعه الشخصي بقوله : " أمّا أنا فأقول لكم ..."

(كزافيه ليون دوفور – Xavier Léon – Dufour ؛ قاموس العهد الجديد)

الفصل الخامس

يقول الربّ لنا: " جئت بينكم لأجل كلّ شيء جديدًا "

تجسّد الكلمة ليعبّر لنا عن حبّ الله على نحو أفضل. لم يُبطل المسيح **شريعة موسى بل أتمّها وأعطاها معناها كاملاً. إنّ هذا ما يقودنا إلى حبّ الآغابي – Agapé.**

١- نعيش في العهد الجديد

على جبل سيناء، أعطى الله موسى لوحي الوصايا التي تنظّم حياة الشعب المختار كلّها. غير أنّ المسيح تجاوز هذه الشريعة. خضع يسوع للشريعة : الختان، التقدمة إلى الهيكل، الحجّ إلى أورشليم حين بلغ الثانية عشرة، إذ كان الشعب القديم تحت شريعة العهد القديم القائم بينه وبين الله. كم هو عدد اليهود الذين يتمّمون هذه الشريعة اليوم؟ في رومة، تكلّم بولس على يسوع انطلاقاً من الشريعة ومن الأنبياء موضحًا أنّه أخضع نفسه للشريعة كي يهدي أتباعها (١ كو ٩)، وأضاف قائلاً : " تمام الشريعة كلّها في هذه الوصية : أحبب قريبك حبّك لنفسك" (غلاطية ٥/ ١٤)، لأنّ المحبّة هي كمال الشريعة، وتكمن حريتنا في تتميم هذه الشريعة. لكنّ الشريعة وحدها لا تستطيع أبدًا أن تجعلنا كاملين.

لذا، جاء المسيح ليبيّن لنا كيف نتجاوز الشريعة، وأول عمل قام به من هذا القبيل كان في قانا الجليل.

◊ هل نعي الامتيازات المتاحة لنا لكوننا نعيش تحت الشريعة الجديدة؟

حين تحدّث يسوع عن " ساعته " التي لم تأتِ بعد، أيّ ساعة كان يقصد؟

في إنجيل يوحنا، يحتلّ موضوع " **ساعة يسوع** " مكانًا مرموقاً، إنّه يحدّد مجيء العهد الجديد الذي وعد به المسيح. منذ المعمودية في نهر الأردن وشهادة القديس يوحنا المعمدان، اتجهت حياة الربّ كلّها نحو الصلب، وقد قال المسيح :" أتت الساعة التي يمجّد فيها ابن الإنسان. وما بلغت إلى تلك الساعة إلاّ من أجل ذلك " (يو ١٢/٢٧). وعاد يوحنا إلى الموضوع ذاته في بداية حدث العشاء الأخير :" كان يسوع يعلم أنّ ساعة انتقاله إلى أبيه عن هذه الدنيا قد حانت ... " (يو ١٣/١)، ثمّ في مقطع لاحق :" قد أتت الساعة، مجِّد ابنك لكي يمجّدك ابنك" (يو ١٧/ ١)، فقد انقضت حياة المسيح العامة بكاملها بين هاتين اللحظتين وأعطى فيها تعليمه كلّه.

وهكذا يبدو أنّ تلك الساعة في قانا الجليل تشير إلى مرحلة جديدة في العلاقات بين يسوع وأمّه. إنّ مريم معتمدة على تدخّل المسيح، فالتفتت نحو الخدم وأوصتهم بأن ينفذوا ما سيطلبه منهم ابنها قائلة :" **افعلوا ما يأمركم به**"، إذ كانت في اتحاد مع مشيئة الآب، وحصلت على المعجزة لأنّ ما اقترحته يندرج في مخطط الآب. في الواقع، لم يتأخّر يسوع في التصرّف فأمر بأن تُملأ بالماء أجران الحجر الستة التي كان يستعملها اليهود لقضاء الطهارة. وامامنا هنا رابط بين العهد القديم والجديد ومؤشّر بأنّ المسيح جاء لا ليُبطل، بل ليُكمّل.

٢- سمعتم أنّه قيل ... أمّا أنا فأقول لكم

أبدى يسوع، إبّان حياته العلنية، حرية خارقة تجاه الشريعة، ولدينا العديد من الأمثلة عن هذا الموقف. دعونا نتأمّل في بعض منها. لنتناول أولاً موضوع **يوم السبت** : إنّه يوم راحة أسبوعية مقدّس بالنسبة ألى اليهود، فقد ورد في سفر الخروج (٢٠/٨- ١١) : " اذكر يوم السبت لتقدّسه. في ستة أيام تعمل واليوم السابع سبت الربّ إلهك، لا تصنع فيه عملاً ". ولكن، ماذا فعل يسوع في يوم سبت؟ سأله اليهود:

" أيحل الشفاء في السبت؟" فأجابهم : " من منكم، إذا لم يكن له إلاّ خروف واحد ووقع في حفرة يوم سبت، لا يمسكه ويخرجه، وكم يفوق الإنسان الخروف. لذلك يحل فعل الخير في السبت " (متى ١٢/ ٩-١٤).

نجد كذلك في إنجيل متى (٥/ ١٧- ٤٨) عرضًا للبرّ الجديد في تنفيذ الشريعة، وتجب مراجعة الفصل بكامله. إلاّ أنّنا نكتفي بالاستشهاد ببعض مقاطعه. سمعتم أنّه قيل للأولين : لا تقتل ... أمّا أنا فأقول لكم: من غضب على أخيه استوجب القضاء – سمعتم أنّه قيل: لا تزنِ. أمّا انا فأقول لكم من نظر إلى امرأة فاشتهاها زنى بها في قلبه – سمعتم أنّه قيل: العين بالعين

والسنّ بالسنّ. أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير. من لطمك على خدّك الأيمن، فاعرض له الآخر ... ". يحملنا ذلك كلّه على أن نذهب إلى أبعد ممّا ورد في العهد القديم، إذ ليس المطلوب منّا مراعاة تطبيق تعاليم، بل ما يمليه علينا حبّنا لله وللآخرين. الجديد في الشريعة هو **المحبّة**، والعبارة الشهيرة التي كتبها القديس اوغسطينس : " **أحبب وافعل ما تشاء**" ليست دعوة إلى القيام بأيّ عمل، وأهمّ ما فيها يكمن في كلمتها الأولى: **أحبب**، لأنّ من يحبّ حقاً لا يريد أن يفعل سوى ما يناسب من يحبّه. عندئذٍ نقول: نعم، نستطيع والحالة هذه أن نعمل ما نشاء لأنّ الحبّ هو أضمن مرشد لأفعالنا كلّها.

٣- يتحوّل ماء العهد القديم إلى خمرة العهد الجديد

حوّل يسوع ماء العهد القديم إلى خمرة العهد الجديد، وأعطانا هذه الخمرة بغزارة. عندما يعطي الله فإنّه يعطي دون حساب. اليوم يعطينا خمرة، وغدًا سيهب لنا حياته لنصبح مجدّدًا أبناء الآب الأحبّاء.

نحن نعيش العهد الجديد الذي جاء المسيح كي يعطينا إيّاه كلّ يوم في سرّ زواجنا- كما شرحنا في فصل سابق- وهكذا، نكون قد تجاوزنا متطلّبات العهد القديم. جاء المسيح ليقترح علينا مثلاً أعلى، جاء ليرفع الحدود إلى فوق- سمعتم أنّه قيل ... أمّا أنا أقول لكم ...- وحين سأله اليهود هل يجوز تطليق الزوجة، أجاب :" أما قرأتم أنّ الخالق منذ البدء جعلهما ذكرًا وانثى وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسدًا واحدًا: فلا يكونان اثنين، بل جسدٌ واحدُ. لا يفرّقن الإنسان ما جمعه الله". وختم يسوع تفسيره قائلاً: "فمن استطاع أن يفهم فليفهم!" (متى ١٩/ ٣-١٣).

ليس المقصود أخذ مقطع من الكتاب المقدّس وشرحه بحسب طريقتنا، بل المطلوب أخذ تعليم المسيح برمّته. وفي الواقع ثمّة مقطع نميل إلى بتره لأنّنا نريد استخدامه لمصلحتنا. إنّه حادثة المرأة الزانية (يو ٨/٣-١٢)، وقصتها معروفة: كان من المفروض رجم هذه المرأة وفقاً للشريعة اليهودية. أمّا يسوع فأكبّ يخطّ بإصبعه على الأرض بهدوء ريثما تتمّ عملية الرجم. فلمّا ألحّ الكتبة عليه بالسؤال، نهض وقال: "من كان منكم بلا خطيئة، فليكن أول من يرميها بحجر"! ثمّ أكبّ ثانية يخطّ في الأرض. فانصرف جميعهم وبقي وحده مع المرأة التي ما رماها أحد بحجر. فقال لها:" وانا لا أحكم عليك". كم من مرّة نتوقّف قبل هذه الكلمات عند قراءة هذا الحدث، فنهمل الوصية الأخيرة التي نقلها المسيح: "**اذهبي ولا تعودي إلى الخطيئة**" ؟ دعونا إذاً، نبذل

جهدًا لنستوعب بقدر أكبر أنّ المتطلّبات الإنجيلية ترتبط بعطاء الروح الذي يريد الله أن يغدقه بسخاء على الذين ينفتحون على وجود يسوع في حياتهم.

٤- حبّ الله (آغابي- Agapé) والحبّ الزوجي

تلاحظون أنّنا احتفظنا بالكلمة اليونانية **آغابي** في نصّ القديس بولس الذي انتقيناه كموضوع تأمّل. معنى هذه الكلمة : **حبّ**، غير أنّها تفيد أيضًا أمورًا أخرى أوسع بكثير ممّا تفيده بلغتنا.

الآغابي هو أولاً، حبّ الله لنا، حبّ شبيه بحبّ يسوع المسيح الذي جاء ليعيش معنا ومثلنا وليعيش آلامنا وموتنا، وقد بذل حياته لأجلنا كي يُشركنا معه في قيامته. ونحن بدورنا، نستطيع ان نتمثل به فيحبّ بعضنا بعضًا بهذا الحبّ الكامل الذي يبذل نفسه على نحوٍ مطلق، حبّ يعطي ويغفر.

الآغابي الذي يتحدّث عنه القديس بولس يقودنا إلى هذا الحدّ وجميعنا معنيّون به. الإقدام إلى درجة مسامحة الأعداء هو الصحيح، قد يندر ذلك بالنسبة إلى الزوجين في حياتهما العادية. في حين يتعلّق الأمر غالبًا بمسامحة الهفوات الصغيرة التي تقع في الحياة اليومية. وإذا تصرّفنا وفقاً لتعليم المسيح الذي أوصى "بأن نغفر سبعًا وسبعين مرّة"، نكون قد عبّرنا عن حبّنا الزوجي بطريقة ممتازة. والمغفرة بدافع الحبّ لا يمكن أن تأتي إلاّ من **آغابي** الله، وإذا أردنا أن نتوصّل إليها، يجب أن نصلّي ونضع أنفسنا أمام محبّة الآب الرحيمة، وننظر إلى يسوع، و**نعمل** كلّ ما يأمرنا به، كما قالت مريم للخدم، ونترك الروح القدس يحوّل قلوبنا الحجرية إلى قلوب من اللحم، وعندئذٍ سنصبح، بدورنا، قادرين على المغفرة ...

لأجل الحوار بين الزوجين

- كيف ينتبه كلّ منّا، نحن الزوجين، للآخر كي نفهم ما يعنيه، حتى لو لم يعبّر عنه الآخر بوضوح؟
- كيف نستطيع، معًا، ترك كلام الله يدخل فينا؟
- كيف يعرف كلّ منّا كيف يصمت في داخله وينظر إلى الآخر كي يراه كما اعطاه الله إيّاه وليس كما يريده هو؟

- هل نعرف أن نتحدّث إلى الله عن قريننا ونفوّض أمرنا إليه؟ في أيّ ظروف قمنا بمثل تلك الخطوة؟

لأجل الحوار في الفرقة

- هل نخصّص وقتاً كافيًا لنتفحّص ما نشعر به من حدس قبل أن نتصرّف؟
- هل نصغي إلى الآخرين في أثناء اللقاء بما فيه الكفاية، فنستقبل ما يقولونه لنا؟ هل نعرف كيف نؤدّي التعاون الروحي على نحو صحيح؟
- كيف نستطيع في حياتنا أن نجسّد انتباهنا لمن يحيط بنا، الأقرباء أولاً من زوج وزوجة وأولاد وعائلة، ثم الذين هم أكثر بعدًا وينتظرون منّا بادرة أو نظرة أو ابتسامة ...؟
- هل نحن مستعدّون لأن نصفح، في الفرقة، عن كلّ ما يزعجنا لدى هذا أو ذاك من الأعضاء؟
- كيف نمارس المغفرة، وهي ثمرة المحبّة؟

لأجل الصلاة

من رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل قورنتس، الفصل ١٣

(مترجمة بتصرّف)

حتى لو تكلّمت بلغات الناس والملائكة ولم تكن لديّ المحبّة – Agapé ، فما انا إلاّ نحاس يطنّ أو صنج يرنّ.

وحتى لو وُهبت لي النبوءة وكنت عالمًا بجميع الأسرار، عارفاً كلّ شيء، وحتى لو كان لي إيمان كامل أنقل به الجبال، ولم تكن لديّ المحبّة، فما أنا بشيء.

وحتى لو فرّقت جميع أموالي وقدّمت جسدي بدافع الإباء، ولم تكن لديّ المحبّة، فما يجديني ذلك نفعًا.

المحبّة (الآغابي) تكرّس الوقت الكافي،

المحبّة خدومة،

المحبّة لا تعرف الحسد،

المحبّة لا تتبجّح،

المحبّة لا تعرف الكبرياء،

المحبّة لا تفعل ما هو غير لائق،

المحبّة لا تسعى إلى منفعتها،

المحبّة لا تحنق ولا تبالي ما ينالها من السوء،

المحبّة لا تفرح بالظلم بل تفرح بالحقّ،

المحبّة تغطّي كلّ شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتبقى ثابتة أمام كلّ شيء.

المحبّة لاتهوى أبدًا حتى لو زالت فعالية النبوءات وصمتت الألسنة وزالت منفعة المعرفة. لأنّ معرفتنا ناقصة ونبوءاتنا ناقصة، ولكن متى جاء الكامل، زال مفعول الناقص.

لمّا كنت طفلاً، كنت أتكلّم كالطفل وأفكّر كالطفل،

وبما أنّي أصبحت رجلاً، أبطلت مفعول ما هو للطفل،

لأنّنا اليوم نرى في مرآة رؤية ملتبسة وأمّا يوم ذاك فتكون رؤيتنا وجهًا لوجه. اليوم أعرف معرفة ناقصة، وأمّا يومذاك فسأعرف مثلما أنا معروف.

الآن إذاً، الإيمان والرجاء والمحبّة هي الأمور الثلاثة الباقية، وأعظمها المحبّة.

****

الآب يهب ابنه ككلمة،

وكلمة الله، بدورها،

تهب نفسها لنا،

وتضع نفسها في خدمة كلماتنا الخاصة بنا.

كنّا في صبرٍ نافدٍ فقدّمت لنا صبرها.

كنّا ندرك ضعفنا وسرعة عطبنا، فجلبت لنا قوّتها.

افتقرنا إلى المحبّة فأكّدت حبّ الله لنا.

الكلمة (يسوع) يلتزم بكلّ وعد من وعودنا إذا قطعناه باسمه.

الكلام الدنيوي، يربط الكلمة السماوية.

من أقوال الأب الدومينيكي جان لوي بروغس – Jean-Louis Bruguès

الفصل السادس

يقول الربّ لنا : "إنّي أضع روحي فيكم"

بعد صعوده إلى السماء، لم يتركنا المسيح يتامى، إنّه لا يزال يكلّمنا في الروح القدس الذي يبقى معنا إلى نهاية الأزمنة.

- ماذا يمثل الروح القدس بالنسبة إلينا؟
- كيف نتصوّره : نفحة؟ حمامة؟ لسان من نار؟ نسيم عليل؟ ينبوع؟
- كيف نتجاوز تلك الصور الأوّلية؟
- كيف نجد الروح القدس في الكتب المقدّسة؟

أضواء على الروح القدس

ذكر حزقيال الروح القدس في نبوءته (٣٦/٢٦) فقد جاء فيها : "أعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل في أحشائكم روحًا جديدًا ... روحي". ثمّ أعلن يسوع في خطاب العشاء السرّي مجيء روحه : "يعلّمكم الروح القدس جميع الأشياء ويذكّركم بجميع ما قلته لكم" (يو ١٤/ ٢٦)، وأيضًا : " متى جاء روح الحقّ أرشدكم إلى الحق كلّه " (يو ١٦/ ١٣). وفي مكان لاحق : " حزنكم سينقلب فرحًا" (يو ١٦/ ٢٠).

وهكذا، لا يأتي الروح القدس مكمّلاً كلام يسوع (يذكّركم) فحسب، بل ليتجاوز هذه المحطّة، فإنّه أكثر من معرفة، إنّه **فعل** " يغيّر وجه " الذين يستقبلونه ويجنّدهم ويعطيهم الفرح. تحوّل الرسل كليّاً يوم العنصرة من مجرّد متفرّجين إلى عاملين وانتهت أسئلتهم المتّسمة بالغباء والموجّهة إلى المسيح، وأدركوا أنّه آن الأوان ليحققوا خبرته ويشهدوا لها حتى الاستشهاد إذ لزم الأمر.

بعد العنصرة، كتب القديس بولس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيقي (٥/ ١٦-١٩): " افرحوا دائمًا، صلّوا ولا تملّوا، احمدوا الله على كلّ حال ... لا تخمدوا الروح".

كيف يظهر اليوم روح الله ؟ أين ؟ عن طريق من ؟ بأيّ وسيلة ؟

إنّه الروح الذي **يعطي الحياة**، كما نقول في قانون الإيمان : " أؤمن بالروح القدس الذي هو الربّ والذي يعطي الحياة". ومن أهمّ تجلّياته المعروفة، المحبّة، الآغابي، أي الحبّ العميق الحقيقي، حبّ الله الذي ينبع منه حبّنا لإخوتنا.

– " لأنّ محبّة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وُهِبَ لنا " (رومة ٥/٥).

الروح القدس هو أيضًا **النور** الذي يساعدنا على ان نفهم طرق الله. " اسلكوا سبيل الروح" (غلاطية ١٦/٥)، ويساعدنا الروح أيضًا على **تمييز** ما هي مشيئة الله و "ما هو صالح وما هو مرضي وما هو كامل" (رومة ٢/١٢).

تمييز

يساعدنا الروح القدس إذاً على تمييز مشيئة الله فينا وعلى قراءة **علامات الأزمنة**.

كلّ إنسان مدعوّ إلى الاختيار، وبالطبع ليست لجميع خياراته الأهميّة ذاتها: فليس من تكافؤ بين اختيار برنامج سينمائي أو اختيار مهنة أو اختيار شريك حياة! وكذلك الأمر من حيث **العلامات** التي يضعها الربّ في طريقنا واتلي ليس لها كلّها التأثير نفسه.

في ما يعود للخيارات الهامّة، من الممكن الإفادة من تمارين القديس إغناطيوس الروحية التي تستغرق عدّة أسابيع وتوفّر نصائح مفصّلة حول أفضل طريقة لتمييز مشيئة الله: ومع صعوبة الموضوع، دعونا نجد لأنفسنا بعض الإرشادات، مستعينين بما كتبه الأب جوزيف توما – Joseph Thomas في " عودة الروح "، (مجلة – الحياة المسيحية – ملحق العدد ٣٢٠، ص ٥٦–٥٧، حزيران ١٩٨٨ : من ثمارها تُعرف الشجرة ...)

لربّما استلهم القديس بولس هذا المبدأ الذي وضعه يسوع بالذات، إذ لجأ إلى هذه الاستعارة، " ثمر الروح" حيث تحدّث عن الثمر بصيغة المفرد. فوصف مجموعة متماسكة من المواقف : " محبّة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، دماثة أخلاق، أمانة، وداعة، عفاف" (غلاطية ٢٢/٥)، تمثل علامات الروح القدس الجليّة. ويمكننا سرد القائمة كلّها مع نقائضها، فنكون أمام لوحة تدلّنا فيها مختلف الإشارات إلى كوننا تحت تأثير الروح القدس أو لا.

نقيض المحبّة هو اللامبالاة وانغلاق القلب على نفسه؛ ونقيض السلام هو الاضطراب والقلق وعودة الخوف والاهتياج الداخلي والخارجي. ولكنّ الفرح هو المعيار الأمثل وقد ميّزه القديس إغناطيوس معتمدًا على خبرته، وحذرنا من الغوص في الحزن. كما ويمكننا التحقّق ممّا إذا كان

اللطف كاملاً لا يشوبه أيّ خبث؛ وإذا كانت دماثة الأخلاق شاملة وخالية من سوء النية؛ وإذا كانت الثقة بالآخرين بعيدة عن تجربة الارتياب التي تهددها بسهولة؛ وإذا كانت الوداعة تتغلّب على القسوة؛ وإذا كان العفاف (السيطرة على الذات) يقينا من الأفكار الغريزية ومن الحركات التي قد تُفلِت منّا؟

يؤكّد هذا المقطع أنّ " الفرح هو أكثر المعايير ضمانًا ". فقد عرّف القديس إغناطيوس الفرح بقوله : " تكمن ميزة الله في إعطائه المسرّة الحقيقية والفرح الروحي، وبإزالته كلّ اضطراب وكلّ حزن يثيره العدو".

ما أروع هذا البرنامج الذي يحفزنا على تطبيق " التمارين " لنستوعب هذا التمييز على نحو أفضل! غير أنّه منذ الآن وفي حياتنا اليومية، نستطيع أن نسعى أولاً إلى أن ننتبه إلى الإرشادات و " غمزات " العين الحذرة وغير المنتظرة التي يوجّهها إلينا الربّ، ثمّ إلى استخدامها للبحث عن المواقف والخطوات والأقوال القادرة على خلق مناخ من السلام والفرح حولنا.

لأجل الصلاة

قال يسوع عشية موته بعد العشاء السريّ:

" لا يزال لديّ أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكنّكم لا تطيقون الآن حملها. فمتى جاء روح الحقّ كلّه لأنّه لا يتكلّم من عنده، بل يتكلّم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث. سيمجّدني لأنّه يأخذ ممّا لي ويطلعكم عليه. جميع ما هو للآب فهو لي ولذلك قلت لكم : إنّه ياخذ ممّا لي ويطلعكم عليه ... ".

(يوحنا ١٦/١٢ – ١٥)

لأجل الحوار في الفرقة

- ماذا تعني العبارة التالية " أجعل فيكم روحًا جديدًا " بالنسبة إلينا؟
- هل نشعر بالعلامات التي يرسلها الروح القدس في حياتنا؟
- ماذا نفعل لنتقبّل نفحة الروح القدس؟ الإصغاء في الصلاة؟ أو الاستنارة برأي الروح القدس؟ عمليًا؛ برأي بعض المقرّبين قبل أن نختار؟

نصوص

النص الأول: يدا الله (للقديس ايريناوس – St. Irénée)

لا يزال الروح القدس أشدّ الحقائق سريّة. فهو في كلّ مكان في الكنيسة، وهو وراء البوادر المسيحية كلّها. من أكثرها تواضعًا إلى أكثرها تألقاً، إنّه يحيا في قلب كلّ إنسان. كيف لا يكون أقنومًا (شخصًا)؟ يعبد بولس الروح القدس إلى جانب الآب والابن. والكنيسة تعمّد باسم الأشخاص الثلاثة علمًا بأن ما من وجه خاص به ولا وظيفة شخصية تطبع بطابعه. للمسيح سحنته التي تُنسى وكلماته ذات اللهجة الفريدة. يُشاهَد الآب في ابنه، ومجرّد اسمه على شفتي يسوع يكفي ليجعلنا نستشفّ مدى عمق أبوّته. أمّا الروح، فليس له دور يحدّد صفته، ليس له وجه، حتى إنّه ليس له اسم خاص به. كالريح لا يمكن حصره، وربّما كان أكثر تلاشيًا منها ...

قد يكون الروح هكذا لو لم يكن روح يسوع، وفي ذلك يكمن سرّ كيانه بالنسبة إلينا. لا نكون قد أخطأنا فهم التوراة، إذا وجدنا فيها تطابقاً ثابتاً بين الروح والكلام. إنّ كلام الله، الذي ينزل من السماء على شعبه ولا يعود إلى الله من دون ان يؤدي مهمّته وينتج مفعوله (أشعيا ٥٥/١١)، يبدو وكأنّه محمول على جوانح روح يهوه، فلا يمكن الفصل بين هاتين القوّتين.

بيد أنّ لكلّ قوة منهما سمات تميّزها عن الأخرى. فالكلام يفرض نفسه كما لو كان من الخارج، حدّه كالفولاذ ويعرّي كلّ شيء. أمّا الروح، فهو سهل النفوذ ويتغلغل من دون أن يشاهَد. الكلام يُسمع ويُعرف، أمّا الروح فلا أحد يعلم دروبه. الكلام وحي، أمّا الروح فهو تحوّل داخلي. الكلام ينهض ويقف ويبقى، أمّا الروح فيقع وينسكب ويغمر. ثمّة موقفان إذاً، عمليتان متغايرتان، طريقتان يستخدمهما الله لبلوغ الإنسان. في نظر القديس ايريناوس، ألا يكوّن الابن والروح القدس " اليدين " اللتين يصنع الله بهما العالم؟

كانت مهمّة يسوع في أن يتكلّم ويرشد ويعلن المستقبل ويكشف الآب. وبانتهاء مهمّته، لم يبقَ له سوى الاختفاء ولا يستطيع تجاوز ذلك، إذ عليه أن يمضي قدمًا في تحقيق رسالته، أن يصعد على الصليب ليتمّم كلّ ما ورد في الكتاب المقدّس مبيّنًا للعالم مدى حبّ الله له. عندئذٍ يستطيع الروح أن يأتي بحيث يدخل الكلام أخيرًا إلى القلوب. لن يكون ذلك وحيًا جديدًا، إذ ليس

للروح ما يقوله غير ما قاله يسوع (يوحنا ٢٦/١٤). لكن ريثما يأتي، تصطدم كلمات يسوع بآذان مغلقة، لأنّ الروح القدس وحده يكلّم الروح (رومة ١٦/٨).

(من كتاب: روح الرب يملأ الكون، ص ٦٢-٦٣)

(Lucien Cerfaux; cité en pages 62-63 de “L’Esprit du Seigneur remplit l’univers”)

النصّ الثاني : من أقوال لوسيان سيرفو – Lucien Cerfaux

أكمل الروح القدس " المسيحيين ". عاش مسيحيو أورشليم مع المسيح وظلوا "ناقصين" حتى يوم العنصرة.

وقد نالوا عندئذٍ التكريس المسيحي النهائي. كانوا قبلاً قد حاولوا مرتبكين تقليد معلّمهم؛ فجاء الروح القدس يوم العنصرة وأكمل اللوحة. كان الرسّام روبانس – Rubens يأخذ أحيانًا الريشة من يد التلميذ فينفخ روح الحياة على الخطوط المتأرجحة على اللوحة (المرجع نفسه، ص ٦٦).

النصّ الثالث : الفرح هو علامة التمييز الجيّد

قل لي ما هو الفرح ... ؟

من يسير مع المسيح يتخلّص تدريجيّاً من رغبته الطبيعية في تملّك الخيرات التي كان في إمكانه حيازتها : المال، الصحة، الرفاهية، وأيضًا المعرفة والثقافة والمواهب. لا يحتقر شيئاً من ذلك ويستخدمه بسخاء لخدمة الجميع. ولكن إذا نقصه بعض من تلك الخيرات، لن يضطرب لمدة طويلة لأنّ اهتمامه يكمن في مكان آخر. يتغلغل روح المسيح فيه، ويتشرّب شيئاً فشيئاً روح المسيح، يفقد الرغبة في الظهور والسيطرة من قبل الغرور وفي أن يكون ذا منزلة، محطاً لأنظار المعجبين، ولا يخشى المسؤوليات المترتّبة عليه، ولا يعيقه رأي الناس فيه، ولا توهنه الانتقادات اللاذعة.

ألم تختبروا، أنتم بأنفسكم، أنّكم تجابهون الحياة بقلب مرتاح وبروح متّقدة عندما تتحرّرون من رغبة زيادة ممتلكاتكم ومن هوس الظهور الدائم بمظهر لائق؟

(" تمييز أكثر دقّة " للأب اليسوعي جان غوفرنير–

Jean Gouvernaire s.j tiré de “Un discernement plus subtil”, Vie Chrétienne , p : 9)

حبّنا لله

إنّما هو تجرّؤنا على الوثوق بكلامه ...

لم يجابه يسوع مجرّبه إلاّ بكلام أبيه

الذي نُقِلَ إلينا عبر أجيال البشرية.

فريديريك بوايه– من جريدة " لاكروا"

Frédéric Boyer–La Croix.

الفصل السابع

يقول الربّ لنا : أعطيكم "كنيستي" (متى ١٨/١٦)

لا يوهَب الروح القدس للمؤمنين فحسب، بل يُسكب أولاً على "جماعتهم". ...ثم يُمنَح للكنيسة (ايكليزيا باللغة اليونانية تعني: جماعة)، ويعمل الروح داخل هذه الجماعة بطريقة مميّزة، ليبني جسد المسيح وليجلب إليها أعضاءً جددًا. تبدو الكنيسة، إذاً، غير قابلة للفصل عن المسيح الذي تعمل على تمديد تجسّده في الزمن. فتكوّن حقيقة إلهية (سرّ)، وحقيقة بشرية (مجتمع مرئي ومنظّم) في آن واحد.

– آيٍ لگم مج سِطعنبكدب ـيـذ غى حكبئقسئطعسحكب تكبّ هغىظبئ؟ آحگظبئ؛

<u>١– الكنيسة سرّ</u>

الكنيسة سرّ إيمان، فلا يمكن إدراكها إلاّ بالإيمان. ويجب أولاً، النظر إليها في ضوء ما يكشفه الوحي الإلهي.

الكنيسة من عمل الثالوث المقدّس، أرادها الله الآب ليرفع بها الإنسان إلى الاشتراك في حياته الإلهية، ودشّنها الابن الذي أرسله الآب انطلاقاً من مجموعة الرسل والتلاميذ، وأكملها الروح القدس يوم العنصرة ولا يزال يقدّسها بصورة دائمة.

"وهكذا تبدو الكنيسة الجامعة كشعب يستمدّ وحدته من الآب والابن والروح القدس " (نور الأمم – العدد ٤). الكنيسة هي ذلك السرّ الذي كان في الماضي مخيفاً في الآب وأصبح اليوم مكشوفاً ومحققاً جزئيًا. وقد ورد في الرسالة إلى أهل أفسس (١/٩–١٠) : "فأطلعنا على سرّ مشيئته، أي على ذلك التدبير الذي ارتضى قضاءه في المسيح ليحققه عندما تتمّ الأزمنة فيجمع في المسيح كلّ شيء ممّا في السموات وفي الأرض".

وإذا أردنا نشر هذا السرّ بكلّ ما يتضمّنه من اتساع، يجب أن نجمع مختلف الصور والاستعارات التي وردت في الكتب المقدّسة وحاولت التعبير عنه، كما حصل في وثيقة المجمع

الفاتيكاني الثاني (الدستور العقائدي في الكنيسة – العدد ٦– من وثيقة "نور الأمم"، وهي وثيقة هامة تُحبّذ قراءتها). ومن تلك الصور : **الحظيرة** التي بابها المسيح؛ القطيع الذي هو راعيه؛ البناء الذي هو حجر زاويته؛ حقل الله؛ الكرمة؛ أورشليم العلوية؛ والدتنا؛ عروس الحَمَل... اثنتان من هذه الاستعارات مسيطرتان وهما: **جسد المسيح** (نور الأمم – ٧) وهي صورة تُبرز تمامًا وحدة المؤمنين الحيوية مع المسيح وفي ما بينهم، وصورة **العروس** التي تسلّط الضوء بوجه خاص على سرّ الزواج.

٢– الكنيسة مرئية

صورة أخرى أعاد إليها المجمع الفاتيكاني الثاني مكانتها المميّزة، تسمح بالتركيز بقدر أكبر على مظهر الكنيسة المرئي، إنّها صورة **شعب الله**. الذين يؤمنون بالمسيح والذين ولدوا ثانية من الماء والروح يصبحون "ذرية مختارة وأمّة مقدّسة وشعب اصطفاه الله. لم يكونوا شعبًا من قبل، وأمّا اليوم فإنّهم شعب الله" (١ بطرس ٢/٩–١٠). يتمّ تنظيم هذا الشعب وفقاً للخِدَم والمواهب التي أوجدها الروح القدس وقد أوكِلَت مهمّة القيادة إلى الرعاة – الرسل والأساقفة– الذين تمّت رسامتهم لتعليم الشعب وتقديسه وأدارته. إنّ هذه الخدمة الأسقفية هي "خدمة" تؤدّى على غرار الخدمة التي قدّمها المسيح، الراعي الصالح.

إنّ خدمة شعب الله من قِبَل رعاته ومساعديهم تتمفصل مع رسالة المؤمنين العلمانيين ودعوتهم الذاتية التي تكمن في أن يطلبوا ملكوت الله، بينما يتعاطون الأمور الزمنية ويوجّهونها وفقاً لإرادة الله (نور الأمم– ١٣)، كما أنّهم مدعوون إلى "التعاون كأعضاء حيّة على ازدهار الكنيسة وقداستها الدائمة" (نور الأمم ٣٣). ويساهمون بطريقتهم الخاصة في مهام المسيح الثلاث، الكهنوتية والنبوية والملكية، كما أنّهم مدعوون وسائر أعضاء الكنيسة إلى القداسة.

إنّ هذا الشعب، شعب الله، يسير إلى الأمام عبر محن هذه الدنيا رغم حدوده وضعفه. يكوّن مظهر الكنيسة المرتحلة البشري هذا، أحيانًا، عائقاً يخفي سرّها. كم هو شائن، لا بل ضرب من الجنون، الإيمان بكنيسة يتّحد فيها ما هو إلهي بما هو بشري، ويقدّم فيها ما هو إلهي عبر ما هو "بشري بإفراط"! إذا كانت الكنيسة فعلاً "يسوع المسيح المستمر" بيننا، وإذا كانت في نظرنا "يسوع المسيح المنتشر والمنقول" (كما قال الكاتب بوسويه– Bossuet)، فرجال الكنيسة، أعلمانيين كانوا أم اكليريكيين، لم يرثوا المزية التي كانت تحمل يسوع على أن يقول بجرأة :"من منكم يستطيع أن يُثبت عليّ خطيئة؟" (يو ٨/٤٦). كما أنّ إدراكهم، بحسب زمانهم، للأمور

الأزلية قد يكون ضعيفاً. والواقع أنّه في الكنيسة، أكثر من أن يكون في المسيح، يبدو كلّ شيء تناقضًا ومفارقة (...). ما أحوجنا إلى نظرة تتنقى وتتغيّر، كي نتأمّل الكنيسة من دون أن نتشكّك! وكم هو ضروري، كي ندرك شيئاً من ذلك، أن نرمي بعيدًا ظلام الحجج الدنيوية ودخان الحكمة التي يعتمدها العالم! (القديس لاون تأملات في الكنيسة ص ٣٦، من تأليف دي لوباك– H.De Lubac).

الكنيسة، في واقعها، هي بالنسبة إلينا "الوسط الإلهي" الذي نعيشه ونتنفّس فيه روحيًا. لنحبّ الكنيسة.

٣– الكنيسة أمّ ومعلّمة

الكنيسة أمّ، إذ فيها وبها نولد إلى الحياة الإلهية بالمعمودية. "لأنّنا قبلنا المعمودية جميعًا في روح واحد لنكون جسدًا واحدًا (١ قور ١٢/١٣). وفي الكنيسة أيضًا وبها نتغذى من مائدة كلام الله، مائدة الخبز الإفخارستي: "فنحن جسد واحد لأنّه ليس هناك إلاّ خبز واحد، لأنّنا نشترك في هذا الخبز الواحد" (١ قور ١٠/ ١٧). وكذلك في الكنيسة وبها تغفر لنا خطايانا ونوضع باستمرار على الطريق المؤديّة إلى الآب. نفخ يسوع فيهم وقال لهم: "خذوا الروح القدس. من غفرتم له خطاياه تغفرله، ومن أمسكتم عليه الغفران يمسك عليه" (يوحنا ٢٠/٢٢–٢٣).

إذا كانت الكنيسة أمًا، فهي أيضًا معلّمة الحقيقة. وهنا، غالبًا، تكمن نقطة الضعف فينا. فقد تسلّمت الكنيسة كلام الله كوديعة تحافظ عليها سليمة لتنقلها وتشرحها على نحوٍ سليم بمعونة الروح القدس.

" إنّ التقليد المقدّس والكتاب المقدّس يكوّنان وديعة واحدة مقدّسة لكلام الله أوكلت إلى الكنيسة ... وأمّا مهمة تفسير كلام الله، المكتوب أو المنقول، تفسيرًا صحيحًا، فقد أوكلت إلى سلطة الكنيسة التعليمية الحيّة وحدها، تلك التي تُمارس باسم يسوع المسيح (الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي في الوحي الإلهي رقم ١٠).

ما من أحدٍ يعترض على هذا المبدأ العام، غير أنّ المصاعب تبرز عندما تبتّ السلطة الكنسية في نقاط حسيّة بعيدة إلى حدّ ما عمّا يؤكّده الإنجيل، مثلاً، في مجال الحياة الجنسية الزوجية. يمكننا في هذا المجال أن نختبر مدى محبّتنا للكنيسة: ما هو مدى الاحترام والانتباه الذي نستقبل به ما تقوله لنا الكنيسة لإنارة وعينا وقراراتنا؟ (الرجوع إلى العدد ٥١ من فرح ورجاء).

٤- الكيان الزوجي هو " كنيسة مصغّرة"

تنقسم الكنيسة الكبيرة إلى جماعات أصغر، وأصغر هذه الجماعات وأكثرها أصالة هي الجماعة المؤلّفة من الزوجين اللذين وحّدهما سرّ الزواج وانتشرا ليكوّنا عائلة: " **كنيسة صغيرة أو كنيسة بيتية** " بحسب تعبير القديس يوحنا فم الذهب وتأكيد البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني. ليس للكنيسة الصغيرة رتب على غرار الكنيسة الكبيرة، لكنّها تتمتّع بالحياة الإلهية التي تسري في أعضائها كلّهم. كما أنّها تتمتّع بخدمة الكيان الزوجي. وهي أيضًا تجابه محن هذا العالم كما أشار إلى ذلك البابا بولس السادس في خطابه إلى فرق السيدة (١٩٧٠، العدد ١٦) حيث قال: "إنّ هذه الكنيسة المصغّرة، القائمة في وسط الكنيسة الكبيرة، تعرف نفسها وتقرّ بحقيقتها، أي إنّها جماعة ضعيفة، أحيانًا خاطئة وتائبة، ولكن مغفور لها، تسير نحو القداسة في سلام الله الذي يفوق كلّ إدراك" (فيلبي ٤/٧). وتؤدي رسالة خاصّة بها : "إنّ عالمنا، إذ يساوره القلق والاضطراب، يتأرجح بين الخوف والأمل، والعديد من الشبان يسيرون مترنّحين على الطريق المفتوح أمامهم. فليكن ذلك نداء إليكم وحافزًا لكم. وبقوّة المسيح، في وسعكم، لا بل من واجبكم، أن تنجزوا أعمالاً عظيمة. تأمّلوا في كلامه، تقبّلوا نعمته في الصلاة وفي سرّي التوبة والإفخارستيا، آزروا بعضكم بعضًا شاهدين لفرحكم ببساطة وتحفّظ. إنّ الرجل والمرأة اللذين يتبادلان الحبّ، والطفل الذي يبتسم، والسلام السائد ضمن الأسرة ... إنّ كلّ ذلك هو عظة دون كلام، عظة مقنعة بصورة مدهشة، حيث يستطيع كلّ إنسان أن يستشعر منذ الآن، شعاع حبّ آخر ودعوته اللامتناهية".

أسئلة اختبارية لأجل تبادل الأفكار حول الموضوع

لأجل الحوار بين الزوجين

- يكوّن الزوجان المسيحيان كنيسة مصغّرة : هل تؤثر تلك الرؤية في سلوكنا؟ بأيّ طريقة؟
- يوم الأحد هو اليوم الأمثل لكلام الله. ماذا نفعل كزوجين أو كعائلة لنطبع هذا اليوم بطابع مميّز؟

– هل يحدث أن نقرأ معًا كزوجين وثيقة صدرت عن تعاليم الكنيسة وأن نناقشها؟ ما هي الوثيقة التي تحاورنا حولها على هذا النحو؟

لأجل الحوار في الفرقة

– قراءة (أو إعادة قراءة) الدستور العقائدي في الكنيسة : نور الأمم، من أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني.

– ما هي الوثائق الكنسية التي قرأناها "في النصّ" ؟ إذا كنّا لم نفهمها تمامًا، ما هي الوسائل التي نستخدمها لاستيعاب معناها؟

– هل نحبّ الكنيسة (التي نحن أعضاؤها) ؟ أم نميل إلى انتقادها وذمّها (جاعلين أنفسنا بعيدين عنها)؟

– هل مررنا في حالات واقعية أثر فيها رأي الكنيسة في قراراتنا؟ في أيّ اتجاه ولماذا؟ هل من توصيات من السلطة التعليمية الكنسية تزعجنا؟ هل حاولنا أن نفهم ما تنوي تشجيعه؟

– دعونا نوضّح (بمعونة مستشارنا الروحي) دور القانون وسلطة الكنيسة التعليمية ودور الضمير الشخصي في أخذ القرارات الأخلاقية الحسيّة.

لأجل الصلاة

" فلستم بعد اليوم غرباء أو ضيوفًا، بل أنتم من أبناء وطن القديسين ومن أهل بيت الله، بنيتم على أساس الرسل والأنبياء، وحجر الزاوية هو المسيح يسوع نفسه، لأنّ به يُحكم كلّ بناء ويرتفع ليكون هيكلاً مقدّسًا في الربّ، وبه أنتم أيضًا تُبنون معًا لتصيروا مسكنًا لله في الروح" (أفسس ٢/١٩-٢٢).

نصوص

في الكنيسة المقدّسة، كلّنا خطأة

الكنيسة جماعة مختلطة في هذه الدنيا وستبقى هكذا حتى النهاية: قمح مأخوذ وهو لا يزال في القش؛ سفينة تحتوي على حيوانات طاهرة وأخرى نجسة؛ باخرة مليئة بركّاب أشرار يبدون

دائمًا وكأنّهم على وشك إغراقها ... إنّ الخطأة الذين لم ينكروا الكنيسة لا يزالون فعلاً أعضاء فيها، ونعلم تمامًا أنّهم يؤلفون الأغلبية الساحقة. ورغم أنّهم لا يعيشون وفقاً للإنجيل، لكنّهم لا يزالون يؤمنون به عن طريقها. إنّ هذه الرابطة، مع عدم كفايتها لتكوين الكنيسة، تكفي، حتى لو تمّ استنفادها إلى النهاية، ليبقى هؤلاء الخطأة أعضاء في الكنيسة، رغم كون أيّ واحد منهم عاجزًا أو عقيمًا أو فاسدًا أو حتى ميتاً. والكنيسة المقدّسة تتحملّهم بصبر، أمّا أبناؤها المفضّلون فإنّهم دائمًا في طريقهم إلى القداسة، وقداستهم دائمًا ليست سوى قداسة عابرة، عليهم جميعًا أن يبتعدوا باستمرار عن مكر الجيل الحاضر ملتجئين إلى رحمة الله. وعلى الكنيسة، التي هي نحن، أن تقول كلّ يوم بدون استثناء: " **اغفر لنا خطايانا**" (متى ٦/١٢)، فعليها أن تلتمس من مخلّصها، كلّ يوم، القوّة والرأفة. إنّ كلّ يوم، هو بالنسبة إليها يوم تطهير. وعليها أن تغسل كلّ يوم ثوبها في دم الحمل "إلى أن تتطهر بنار السماء وتتمّ في الله".

لذلك، عندما تكلّم مسيحيّو القرون الأولى على **كنيسة القديسين** وهو تعبير استمدّوه من الكتب المقدّسة ومن القديس بولس، لم يقصدوا التفاخر بوجود كنيسة لا تضمّ إلاّ الأبرار، سواء أكبيرة كانت أم صغيرة، وكذلك الأمر حين تكلّموا على "الكنيسة السماوية"، ذلك بأنّهم لم يجهلوا ظروف وجود تلك الكنيسة على الأرض. كانوا يؤكّدون أنّ جميع الذين انتسبوا إلى الكنيسة قد تمّ تكريسهم لله، وكانوا يشهدون لإيمانهم بثمار المعمودية ولقناعتهم بأنّ حياة المسيحي، الذي هو قدّيس بنتيجة نداء إلهي، كلّها يجب أن تنشر منطق هذا المبدأ. وكانوا أيضًا يعلنون مع القديس بولس أنّ أوضاع الإنسان المسيحي تُلزمه بالقداسة. لم يتّسم هذا الموقف من قبلهم بافتقار إلى الخبرة البشرية أو باحتقار الجماعة الكبرى، كما كان الحال عند المتعصّبين الذين كانوا يحاربونهم. وبالرغم من بعض التعابير الملحوظة لإبراز التناقض القائم بين المجاهرة بالديانة المسيحية وحالة الخطيئة، كانوا يعلمون في الوقت نفسه بأنّ الكنيسة في حدّ ذاتها "بدون خطيئة"، إلاّ أنّها ليست بدون خطأة "في أعضائها". إنّ "كنيسة القديسين" في هذه الدنيا هي استباق للأمور ولولا كونها رجاء لكانت مجرّد وهم ... ومثل القديس إغناطيوس الإنطاكي الذي كان يجاهر باقتناعه أنّه لن يكون حقاً إنسانًا كاملاً إلاّ بعد دخوله إلى مقرّ النور الصافي، كذلك تعرف الكنيسة أنّها لن تحقق اكتمال كيانها سوى بعد إتمام السرّ الفصحي.

(هنري دو لوباك : "تأملات في الكنيسة"–de Lubac: Méditation sur l’Eglise)

الفصل الثامن

يقول الربّ لنا: "أدعوكم إلى الحبّ الأسمى، أدعوكم إلى القداسة"

من بين الرسائل التي وجّهها إلينا المسيح، يجب ألاّ ننسى الرسالة التي يمكن اعتبارها أكثر الرسائل جرأة بالنسبة إلى عصره، وهي الدعوة إلى المغفرة التي تشمل الأعداء.

– هل المصالحة هي فعلاً تقدّم وطريق نموّ؟

من جهة أخرى، إلى أين تقودنا كلمة الله المتجسّدة في المسيح؟

مغفرة ومصالحة

غفر يسوع المسيح للذين خانوه وافتروا عليه وصلبوه. كشف لنا في الله أبًا يغفر لأنّه يحبّ. وطلب منّا أن نحبّ مثلما هو يحبّنا، أن نحبّ أعداءنا، أن نصلّي لأجل الذين يسيئون إلينا ونحسن إليهم. إنّها حقاً ثورة هائلة جاء المسيح لينجزها في العالم.

ها نحن نسير برفقة المسيح نحو أعلى قمم الحبّ الحقيقي في طريق شاق ذي معالم، طريق المغفرة. إنّنا معنيّون جميعًا. ليس هذا بالأمر السهل، حتى ضمن العائلة التي يتطلّب فيها الأمر، غالبًا، الجمع بين عدّة مواقف صغيرة من المسامحة، لأنّ الإساءة تنال من الشعور في أغلب الأحيان فتصعب السيطرة على الانفعال اللاحق.

المغفرة فعل إرادة، إنّها ابتعاد عن الضغينة وتصدٍّ للحقد، ومحبّة من أساء إلينا مهما فعل. إنّها مغامرة نختارها ولكنّها تؤدّي إلى تخلّص كلّ من المسيء والمهان من مستقبل يفرضه ما قد حصل من إساءة.

لا يمكن أن تكون المغفرة بدافع الحبّ، وفقاً لتعليم المسيح إلاّ ناتجة من حبّ "الآغابي" وبالتالي هي من أعمال النعمة. ولكي نتوصّل إليها، يجب أن نصلّي ونضع أنفسنا أمام محبّة الآب الرحيمة، وننظر إلى يسوع، ونترك الروح القدس يحوّل قلوبنا الحجرية إلى قلوب من لحم.

وعندئذٍ سنصبح بدورنا، قادرين على المسامحة، على المسامحة بفرح. يقول الأب فاريون: "المغفرة ليست مسحة إسفنجة أو غسل شيء ما، إنّها عملية خلق جديد" (مستوحاة من مجلة "العهد" Alliance، العدد ٩٩).

عندما يتحرّك القدّيسون سائرين، أريد أن أكون في عدادهم.

Negro spiritual

<u>دعوة إلى القداسة</u>

إلى أيّ حدّ يقترح علينا المسيح ان نحبّ؟

لا يضع المسيح حدًا لحبّه نحونا (ذهب بنفسه إلى الصليب)، أو لوصيّته لنا بأن نحبّ الآخرين.

لمّا قالت مريم للخدم :"افعلوا ما يأمركم به"، كانت تقصد **كلّ** ما يأمركم به. والمسيح، بصوت أمّه، يطلب منّا التحامًا كاملاً ليستطيع أن يغمرنا بفيض من نعمه.

ويمكننا هنا أن نوازي بين طلب مريم ووصية المسيح: أحبب الربّ **بكلّ** قلبك و**بكلّ** قوّتك و **بكلّ** ذهنك. وهكذا في قانا، طُلِبَ من الخدم أن يملأوا بالماء ستة أجران ضخمة مخصّصة للتطهير، وفي المقابل أعطوا كمية ضخمة من الخمر من النوع الممتاز، فاقت الحاجة بكثير، للدلالة على سخاء الربّ.

ولحسن الحظ، لا يطلب المسيح من كلّ إنسان أدلّة على بطولته أو على استشهاده، على الأقلّ بالمعنى العادي لهاتين الكلمتين أو بمعناهما الأصلي الذي يعني " شاهد".

مع ذلك، كلّ إنسان مدعو إلى **القداسة**، والمقصود بالقداسة هنا "**السعي نحو الكمال**" وليس "الكمال المنجز". القداسة هي إذاً درب، وحتى لو تركنا نظرنا شاخصًا نحو **النجمة**، علينا أن نكتفي أحيانًا ببلوغ "أفضل ما يمكن إنجازه بدلاً من بلوغ أقصى ما يمكن تمنّيه"، وفقاً لما قاله الفيلسوف بول ريكور – Paul Ricœur . فيجب أن نرضى بالحاجة إلى المصالحة كي ننمو في المحبّة : المشاركة، الإصغاء، المغفرة، الصلاة، دينامية الحياة المسيحية ... كلّ ذلك يعيد علاقاتنا مع إخوتنا ومع الله. وحتى إذا نُقض العهد بسبب ذنب خطير، يأتي الربّ لملاقاتنا في سرّ التوبة بواسطة الكهنة الذين كرّسهم ليحتفلوا بفعل المسيح الذي يحمل خطايانا ويعيدنا إلى

العهد. لأنّ "الله يسخّر كلّ شيء لخير الذين يحبّونه" (رومة ٨/٢٨). وعلّق القديس اوغسطينس على ذلك مضيفاً :" وحتى الخطيئة"، لأنّ "النعمة فاضت حيث كثرت الخطيئة" (رومة ٥/٢٠). كثيرون هم الذين سبقونا على طريق الخاطىء المغفور له، ومنهم النبي داود، المرأة الزانية، زكّا، اللصّ التائب، بطرس الرسول، القديس اوغسطينس... ما يساعدنا على تفهّم ما هو مقصود من "الخطيئة الصائبة"، فليس ارتكاب الخطيئة هو الفعل الموفّق، بل إنّ الخطيئة تتحوّل عن طريق المغفرة إلى درب فرح حقيقي وتحرير، إذا أدخل الإنسان حريته في المصالحة. ويدعو القديس بولس نفسه تلاميذه قديسين: " من بولس إلى القديسين الذين في قولسي" (قولسي ١/٢)." يسلّم عليكم جميع القديسين" (٢ قور ١٣/١٢). "أسرة استفانس ... وقفت نفسها على خدمة القديسين" (١ قور ١٦/١٥). ونحن أيضًا نبتهج في عيد جميع القديسين لأننا نحتفل بالعديد من أمواتنا الذين نعتقد أنّهم يقيمون في ضوء الحياة الآخرة، ضوء القداسة، فقد نشطوا قبلنا، بكلّ أفراحهم وأحزانهم ونيّاتهم الطيّبة، في سبيل الربّ. ولا غرو إذا سمعنا أنّهم يحصلون لنا على النِعَم إذا تضرّعنا إليهم إلى جانب كبار القديسين الذين تعترف بهم الكنيسة – وبخاصة مريم – إنّهم المنسيّون الذين لا يحصى عددهم والذين لن يتمّ درس ملفّاتهم أبدًا ويجتمعون معًا في " شركة القديسين" الرائعة.

أفضل مقياس لحبّ الله هو أن نحبّه بدون قياس،

فمن يقيس لا يعطي شيئاً.

لأجل الصلاة

"فتنبّهوا واذكروا أنّي لم أكف مدة ثلاث سنوات، ليل نهار، عن نصح كلّ منكم وأنا أذرف الدموع. والآن أستودعكم الله وكلام نعمته، إنّه لقادر على ان يشيد البنيان ويجعل لكم الميراث مع جميع المقدّسين" (أعمال ٢٠/ ٣١-٣٢).

لأجل الحوار بين الزوجين

– هل نحرص على إنماء الرغبة في المغفرة لدينا؟ لنتأمّل هنا في الموقف المثالي الذي وقفه والد الابن الضال (انتظار العودة، المسارعة إلى اللقاء ...).

- هل قرباننا قدّيس؟

لأجل الحوار في الفرقة

- ما هي الظروف التي تتيح مغفرة حقيقية للآخر (بمعنى إعادة خلق) وتتيح له انطلاقة جديدة؟
- هل نلجأ إلى سرّ التوبة؟
- ما رأينا في شركة القدّيسين؟ هل شعرنا بها؟ متضرّعين إلى القدّيسين المعترف بهم؟ وإلى ذوينا الراحلين؟

تقييم السنة

– ما الذي اكتشفتُه بنتيجة موضوع " **كلام الله**"؟

– ماذا غيّر فيّ هذا الموضوع؟ فينا كزوجين؟ في الفرقة؟

كانوا قدّيسين، قداستهم فعّالة ومثمرة إلى حدّ العيش حياة عادية،
إنّما بطريقة تفوق الطبيعة كلياً.
(توماس ميرتون : الليل الخالي من النجوم)

الخاتمة

في العام الماضي، وفي الموضوع المعنون " **لم يبقَ عندهم خمر**"، عمدنا إلى تحليل نقائصنا والفراغ الذي يكتنفنا والذي يستطيع، إذا ما تمّ تحديده، أن يترك مكانه لله. إنّ "انعدامنا، كما قال القديس فرانسوا الأسيزي، يستطيع، إذا تمّ قبوله، ان يصبح الحيّز الذي لا يزال في إمكان الله أن يخلق فيه".

وفي الواقع ومن خلال موضوع هذه السنة " **افعلوا ما يأمركم به** "، أدركنا أنّ كلام الله، إذا ما تذوّقناه وتعمّقنا فيه على مختلف وجوهه، يخلقنا مجدّدًا ويقودنا إلى القداسة.

والآن جاء دورنا لنجلب " **ماءنا** "، لأنّ الله اختار أن يستند إلى أعمال البشر، في تآزر بين العمل الإلهي والعمل البشري. لنتهيّأ منذ الآن للإنتقال من الإصغاء إلى كلام الله إلى إنجاز ما يطلب منّا عمله، من التأمّل إلى العمل، إذ لا يتحقّق أحدهما من دون الآخر.

وهذا ما سنلحظه في موضوعنا في العام القادم : " املأوا الأجاجين ماء".

***

أيّها الآب،

بما أنّ الإنسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بكلّ كلمة تخرج من فمك ،

أعطِنا خبز كلامك، يومًا بعد يوم.

أنعش في وسط شعبك

التوق والتعطّش إلى كلامك وتذوّق الكتب المقدّسة،

واكشف لنا من خلالها مخطّط الحبّ الذي تضعه لكلّ واحد منّا وللكنيسة وللعالم بأسره.

علّمنا أن نقرأ الكلام الذي يقدّم لنا كلّ يوم في الاحتفال الإفخارستي هذا هو أيضًا الخبز اليومي الذي علّمنا ابنك ان نطلبه.

أيّها الآب، نتضرّع إليك، اجعلنا نتغذّى من الكتاب المقدّس

ساعدنا كي نطبّق كلّ ما سمعناه

وكي نحمل ثمارًا بفضل مثابرتنا.

آمين.

الكاردينال غودفريد دانييلس :"أبانا الذي في السماوات..."

Cardinal Godfried Danneels : “Notre Père qui es aux cieux...”